اليوبيل الماسي للكلية الإكليريكية

سلسلة آباء الكنيسة

جُهّال من أجل الله



من آبـــاء روسيـــا

✝

علم الباترولوچى

سلسلة آباء الكنيسة

جُهّال من أجل الله

GOD'S FOOLS

The lives of the holy "Fools for Christ"

ترجمة وإعداد

أنطون فهمى چورچ

الكتـــــــاب : جُهّال من أجل الله

ترجمة وإعداد : أنطون فهمي چورچ .

المطـــبعـــــة : الأنبا رويس (الاوفست) ـ العباسية ـ القاهرة .

رقم الإيداع :١١٥٨٦ / ١٩٩٤م.

تطلب من :

كنيسة مارجرجس ـ اسبورتنج ـ الاسكندرية .

ص.ب.١٧ الابراهيمية ـ ت. (٠٣/٥٩٦٩٨٨٨).

كنيسة القديسين ـ سيدى بشـر ـ الاسكندرية .

ت. (٠٣/٥٤٨٧٧٢٨).



قداسة البابا شنوده الثالث

مقدمة

بينما تسود العالم الحروب والأوبئة والمجاعات ، حرب الجسد وحرب الأيديولوچيات وحرب العداوة العنصرية وحرب القوات الخفية المفسدة ، والأوبئة المرضية والأخلاقية والجنسية والمجاعات إلى الطهارة والمحبة والسلام والأمانة.. قدمت لنا الكنيسة خبرة روحية فريدة بل ونادرة ، هؤلاء الآباء الذين عاشوا فى جهالة لأجل الله ، فكانوا قامات عالية ، ارتقوا إلى مراتب الفضيلة ، تغلبوا على الحروب الخارجية وتحرروا من الخوف الداخلى ، اقتنوا الاتضاع كقوة خفية يحصل عليها الكاملون بعد تمام سيرتهم ، وهرباً من المجد الفارغ والمديح ، اتخذوا من الجهالة سلماً مؤدياً إلى الملكوت ، فلا يمكن لأحد أن يُعد جاهلاً بشكل اعتباطى ، لكنهم هربوا من المجد الباطل بمعرفة ليملكوا حس الدهر الآتى .

اخفوا فضيلتهم ورفضوا المديح والتمجيد ليس فقط بل

وفرحوا بالمذمة والتحقير ، واعتبروا أنفسهم غرباء جهّلاء مجانين وهم العقلاء والحكماء والناضجين ، وفيما هم يتحلون بالمعرفة الإلهية والنصرة الروحية ، صاروا جهلاء محتملين المذمة كي لا يمجدهم الناس على أحوال فضائلهم ، متظاهرين بالبلاهة وهم مطيبون بالملح الإلهي ، فكرزت الملائكة بأثارهم العديدة .

إنهم جديرون بالاعجاب ومحبوبون لدى الله ، بعد أن تركوا التنعم والمحبات الزمنية ، مترجين الخيرات الحقيقية ، يجوبون مُعيّرين متظاهرين بعدم الترتيب كمن لا عقل لهم وهم الكاملون والمرشدون .

اختاروا لأنفسهم هذا التعب المضنى بمعرفة وتمييز محتقرين ذواتهم ، متكلين على الله الذى يعتنى بهم ، عابرين وادى الآلام يصيرونه ينبوعاً لهم ، لذا صارت الملائكة السماوية مرشدة لهم ، تشفيهم وتشدد أجسادهم الهزيلة .

عاشوا الحرية الحقيقية بلا مأوى ولا مسكن ، ليستريحوا

بسكنى الله ، وقبلوا الإفتراءات كالحقيقة ، غير مهتمين باقناع الناس ولا مضطربين من الظلم والاتهامات الكاذبة .

اتضعوا فرأوا مجد الله فى داخلهم ، وجاهدوا فى قبول الإهانة علانية فمجدهم الله واظهر مجده فيهم ، مُحتَقَرين فى عظمتهم ، لا عظماء فى حقارتهم فامتلئوا من كرامة الله .

جاعوا وعطشوا من أجله ، فشبعوا من الخيرات السمائية ، ارتضوا الإهانة وتعروا فلبسوا لباس المجد وثياب عدم الفساد افتقروا فأغناهم ، عطشوا فأسقاهم ، تعروا فسترتهم اليد التى تسند الكل .

عاشوا بأرادتهم فى أماكن مظلمة ، فصار المسيح نور العالم نورهم الذاتى ، عاشوا المسكنة الإنجيلية منسحقى القلب ومُذلين فصاروا مقبولين لديه ، عاشوا فى دموع وضعف إلا أن الله وضع حداً لدموعهم ، ودعاهم للفرح الدائم غير الفانى والذى بلا نهاية .

قبلوا أن يكونوا مُضطَهَدين لا مُضطهِدين ، مُهانين لا

مُهينين ، مُفترى عليهم لا مفتريين ، وقبلوا العقاب والعار والفضيحة ، بدلاً من التكريم والمديح ، ليخفوا مجد سيرتهم ويطردوا عنهم أسباب الكبرياء .

استخدموا اعلانات روح الله العامل معهم وسلطان المسيح الصانع العجائب الذى كان يظهر فيهم ، وبذلك اذاعوا معرفة ملكوت السموات .

نظروا إلى ذواتهم كأبناء التراب قليلى القيمة واعترفوا بضعف طبيعتهم ، فعاشوا للأمور التى من أجلها اشتهوا أن يموتوا وناولوا ما اشتهوا .

ربما يرى أصحاب الذهنيات الأرستقراطية والعقلانيات فى هذا اللون من الحياة (حياة الجهالة) لوناً من المصاعب والاستحالة ، إلا أن هؤلاء الآباء مدعوون للسلوك فى هذا الطريق .

وكما أن المواهب الروحية تتنوع وتتعدد ، كذلك يستضئ كل واحد بالشمس العقلية حسب قدرته على الاستيعاب

ويحصل على المسرة حسب ترتيبه .

اختار هؤلاء درب الجهالة طريقاً روحياً ، وتروضوا بالتقوى فتشدد إيمانهم وتمسكوا بأعمال الله ، وصار دأب هؤلاء الجهال أن يرضوا الله بدموعهم وجهالتهم وحقارتهم ووضاعتهم ، فوجدوا فرحاً وثباتاً ، وبساطة وقلباً نامياً لا يُقيد .

نقدم هذه السير العطرة التى لمختارى الله ، الجهال لأجله ، نضعها نصب أعيننا قدوة لنا ، ونمطاً وطريقاً طرقه هؤلاء الطوباويين ، فكل له مسيرته وله آلامه وله حبه .

ولا شك أن هذه الطريقة الروحية هى طريق خاص جداً سلكه هؤلاء الآباء بارشاد وإفراز واعى ، يتناسب مع دعوتهم وقامتهم واستجابتهم ، فالروح يهب حيث يشاء .

لكل سيرة مقامها وزمانها وقاماتها ، ولعل هذا التدبير يتناسب مع الكاملين... فالتجار عديمى الخبرة يلحقون بأنفسهم خسارة فادحة إذا اشتغلوا فى تجارة واسعة ، فكل عمل له نظامه وكل سيرة لها أوانها المعين .

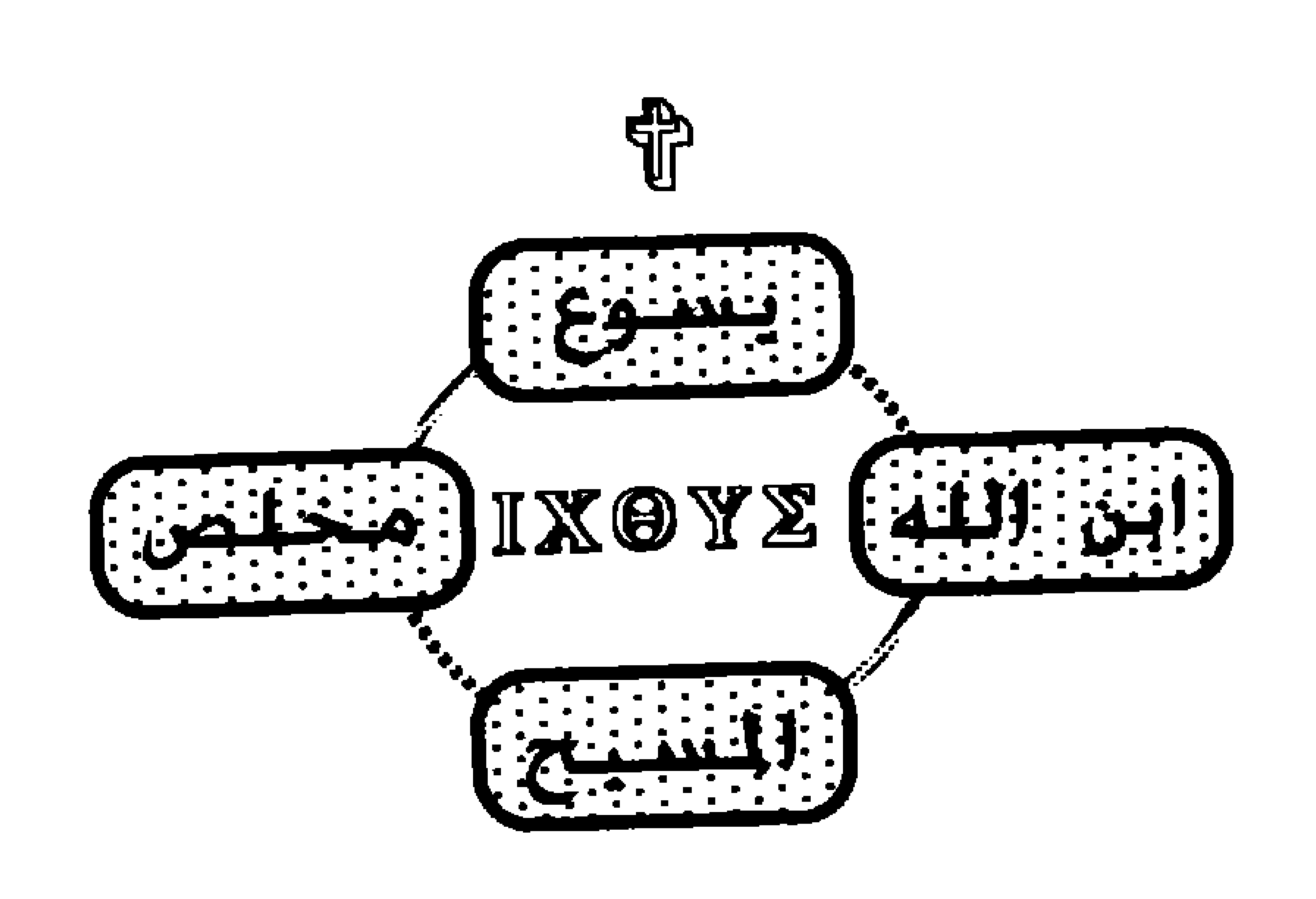
نريد أن ننبه الذين تستهويهم الأعمال الخاصة المتميزة وليس الأعمال المعتدلة ، وهم بذلك يحملون أنفسهم أحمالاً عسرة الحمل ، إلى ضرورة استيعاب الفضيلة والتدرج فيها تحت إرشاد مَنْ اختبروا الطريق ، لأن هذه الأعمال والأخبار تُقتنى بتعب واجتهاد .

إننا نشكر الله من أجل عطاياه التى لا يُعبر عنها ، ومن أجل ترجمة هذه السير العطرة ، ونطلب بركة وصلوات الآباء ولباس الصليب ، ليستمر صدور هذه الموسوعة الأبائية «**آباء الكنيسة** *ΙΧΘΥΣ*» ذاكرين تعب ومحبة الإخوة والأخوات الذين يساهمون فى صدور هذا العمل ، راجين لهم الأجر السمائى .

وكلمة شكر لأبينا جزيل الاحترام نيافة الحبر الجليل **الأنبا بنيامين** من أجل أبوته التى نعتز بها ومن أجل أياديه البيضاء فى صدور هذه السلسلة الأبائية **آباء الكنيسة** «**أخثوس** *ΙΧΘΥΣ*»..... ونذكر بالفضل تشجيع قدس الأب الموقر القس **إيليا القمص برثلماوس** ، الذى بوعيه

الروحى حثنا على ترجمة ونشر سير «الجُهّال لأجل الله» .

الله الذى دعانا لمجده الأبدى فى المسيح يسوع يبارك هذا العمل بصلوات أبينا البابا البطريرك **الأنبا شنوده الثالث** ، له المجد فى كنيسته من الآن وإلى الأبد ، آمين .



أنـدراوس
مـن القسطنطينية
(عام ٣٦٩م)

ANDREW OF CONSTANTINOPLE

أسر أندراوس وهو لا يزال صبياً وأخذ إلى القسطنطينية عبداً ، ولما رأه سيده حسن الخلق والسلوك ، قرر أن يعلمه ، فأظهر أندراوس ذكاء متميزاً وسرعان ما تمكن من القراءة والكتابة باللغة اليونانية ، وبعد ذلك بقليل ، بدأ يقرأ فى الأسفار الإلهية والكتب المقدسة ، خاصة سير القديسين والشهداء ، وقبل الإيمان الارثوذكسى واعتمد ، وكان كثير مواظباً على الذهاب إلى البيعة للصلاة والعبادة .

وحدث انه بينما كان واقفاً فى الكنيسة أثناء الصلاة ، أن تعب وجلس ليستريح ، فأخذته غفوة من النوم ، وحلم بأن هناك

جيشين ، فى ناحية جيش من القديسين ، وفى الناحية الأخرى جموع من الشياطين الذين تحدوا القديسين أن يقاتلوا واحداً منهم وهو عملاق مخيف ، عندئذ رأى أندراوس شخصاً منيراً نازلاً من أعلى حاملاً فى يديه ثلاثة أكاليل لا تُقدر بثمن ، واعلن أن هذه الأكاليل الثلاثة ستكون من نصيب منْ ينتصر على هذا العملاق ، فقرر أندراوس أن يحارب هذا الشيطان المخيف ، وطلب معونة الشخص المنير ... وذاك الشخص المنير الذى ظهر لم يكن إلا مخلصنا الصالح نفسه ، وبمعونته هزمأأندراوس الشيطان ، رغمِ أن ذلك كان بعد حرب ضروس ، فنظر مخلصنا إلى الشاب المنتصر وقال له : «من الآن ، أنت صديقنا وأخونا ، اخرج إلى جهادك الذى سيهبك الخلاص...**كن جاهلاً لأجلى**

***Be a Fool For My Sake*» .**

ففهم أندراوس هذه الوصية ودخل فى درب الجهالة لأجل الله .

حزن سيد أندراوس جداً بسبب التغيير المفاجئ الذى طرأ

على الشاب الصغير ، وظن أنه قد جُن ، وأخذه إلى كنيسة القديسة أنسطاسية لكى يصلى الآباء هناك عليه ، وفى هذه الكنيسة تثبت أندراوس فى جهاده .

إذ أنه رأى رؤية تتحدث فيها القديسة أنسطاسية مع القديس يوحنا فم الذهب ، وعندما سألها يوحنا «أنسطاسية ، ألن تشفى أندراوس؟» أجابته القديسة الشهيدة: «إنه لا يحتاج إلى شفاء ، فقد شفاه ذاك الذى قال له كن جاهلاً لأجلى» .

وحدث ايضاً أن ظهر له القديس يوحنا اللاهوتى مشجعاً وواعداً إياه بانه سيعينه ، وفى رؤية ثالثة ، رأى أنه فى حجرات الملك ، واعطاه الملك طعاماً مراً جداً ليتذوقه ، وقال «هذا هو الطريق المحزن الذى لهؤلاء الذين يخدموننى فى الحياة الحاضرة» ثم اعطاه طعاماً أخر كان أحلى من المن ، وقال «هذا هو الطعام الذى أعطيه لهؤلاء الذين يعملون لأجلى والذين يحتملون بشجاعة حتى النهاية» .

عندما رأى سيده أن حالته لم تتحسن ، أطلقه من خدمته بحزن عظيم ، فبدأ القديس يجول في شوارع المدينة الامبراطورية مثل المجنون ، متحملاً كل صنوف الاهانات والسخرية والعوز والفقر .

وكان أندراوس يقضي الليل ساهراً مصلياً لأجل العالم كله ، وخاصة لأجل هؤلاء الذين أهانوه وجرحوه ، وكان منبوذاً تماماً من الجميع ، ففي الشوارع كان الناس يبعدون عنه ولم يعطه أحد قط أي مكان ليستريح فيه ، حتى الكلاب لم تكن تبالي به ، فلم تكن تعضه ولا حتى تهرب أو تخاف منه .

وبهذه الأتعاب والألامات والفقر من أجل الرب ، وبالأسهار والصلوات والنسك الدائم ، اقتنى أندراوس نقاوة القلب فصار ملاكاً أكثر منه إنساناً ، وأُعطي نعمة من الله ، ونال نعمة النبوة كي يعمل على ربح الخطاة ويحثهم على التوبة .

لكن لم يكن الجميع يستمعون إلى نصائح هذا المجنون القديس.. ومن أمثلة ذلك القصة التالية:

كان هناك لص مقابر ، يحفر القبور ويخرج أجساد الموتى ويسرق ملابسهم وحليهم وجواهرهم التى يُدفنون بها احياناً ، وفى أحد الأيام خطط لسرقة قبر سيدة ثرية كانت قد دُفنت منذ وقت وجيز ، وبينما هو فى طريقه لتنفيذ خطته هذه ، إلتقى بأندراوس ، وإذ كان هذا الأخير يعلم قبلاً الخطة الرديئة التى يبغى اللص تنفيذها ، نظر إليه بحدة وتنبأ قائلاً «هكذا يقول الروح ، مديناً من يسرق ثياب المضطجعين فى القبور: لن ترى الشمس ، لن ترى يوماً ولا وجه إنسان ، أبواب بيتك سوف تغلق أمامك ولن تُفتح ابداً» .

ورغم أن اللص سمع هذه الكلمات ، إلا انه لم يبال بها واستمر فى طريقه ، فنظر إليه أندراوس وقال له «أستذهب؟ لا تسرق ، إذا فعلت ذلك لن ترى الشمس!» .

فاندهش اللص من أن أفكاره قد عُرفت هكذا ، لكنه رفض أن يتوب ولم يبال بكلام المجنون ، واستمر فى طريقه ، فتبعه أندراوس راجياً أن يستطيع بطريقة أو بأخرى أن يرجعه عن الخطية الرابضة أمامه ، إلا أن كلماته ذهبت أدراج الرياح .

وعندما حل المساء ، دخل اللص المقبرة ، وأخذ الثياب الخارجية وكل الحلى الثمينة ، وما إن استدار ليغادر المقبرة حتى شعر بضربة شديدة ، كما لو كان قد ضُرب على رأسه ، وفى الحال ذهب عنه بصره ، ومنذ ذاك الحين صار لص القبور الضرير يستعطى الصدقات فى الشوارع وكثيراً ما كان يروى نبوة القديس أندراوس .

حدث ايضاً أن كان هناك أحد الرهبان الذين كانوا يعيشون حياة نسك شديد وإماتة وصلاة ، وبسبب قداسة سيرته ، صار الكثيرون يقبلون إليه لأجل الإرشاد والنصيحة ، والبعض كان يقدم إليه عطايا ، وقليلاً قليلاً ، أُصيب الراهب المجاهد بشهوة محبة المال ، وبدأ يدخره ، فرأى أندراوس فى رؤيا روحاً بهية وأخرى مظلمة ، والأثنتان تتنازعان نفس القديس ، فقالت الروح المظلمة «إنه ملكى ، لان محبة المال قد تملكت عليه» .

فأجابت الروح النيرة: «لا إنه ملكى لانه يجاهد» ، وهنا اعترض صوت سماوى على الروح النيرة وقال لها «اتركيه ، فقد أسلم نفسه للشيطان» .

فحزن أندراوس بسبب حالة الراهب ، ومضى إليه وأعلن له حالته وتوسل إليه أن يغير حياته ، فتاب الراهب ووزع كل الأموال التى ادخرها ، وعندما أتى إليه أناس يريدون أن يقدموا مالاً لكى يوزعه على الفقراء ، رفض قائلاً «أى منفعة لى أن أوزع أشواك شخص أخر؟» .

ومن عظم قداسة ونقاوة أندراوس ، أُخذ مثل بولس الرسول إلى السماء ، ففى أحد أيام الشتاء القارص ، كان على وشك الهلاك من البرد وأوشك على الموت ، فجاءه ملاك الرب ومعه غصن من حديقة الفردوس ، وعندئذ أُخذ فى الروح إلى السماء الثالثة ، ورأى مخلصنا وجهاً لوجه ، وسمع هناك كلمات لا تقدر أى لغة بشرية أن تعبر عنها .

لقد خدم أندراوس الله متصنعاً الجنون والجهالة فى شوارع القسطنطينية فى جهاد فى أقسى درجات الفقر والتجرد لمدة ٦٦ عاماً ، وخلال هذه السنوات استحق العديد من الرؤى وأخر رؤية له صارت السبب فى تحديد عيد فى الكنيسة الروسية يسمونه «عيد حماية والدة الإله» وقد حدثت كما يلى:

أثناء إحدى سهرات الكنيسة التى تستمر حتى الصباح ، كان القديس حاضراً ومعه صديقاً له من النبلاء يُدعى أبيفانيوس ، وكان القديس معتاداً أن يقف طوال السهرة حتى تنفذ قوته ، احياناً حتى نصف الليل واحياناً حتى الصباح ، وأثناء الساعة الرابعة من الخدمة ، رأى القديس ظهوراً مجيداً إذ ظهرت والدة الإله ودخلت من الباب الرئيسى للكنيسة ، وكان بصحبتها القديسان يوحنا المعمدان ويوحنا الحبيب اللاهوتى ، واحد عن يمينها والآخر عن يسارها ، ويتقدمها جمهور من القديسين ، وعندما اقتربت من الهيكل ، قال أندراوس لأبيفانيوس «هل ترى سيدة العالم؟» فاجابه «نعم يا أبتى» .

وبينما كانوا ينظرون ، انحنت والدة الإله أمام الهيكل وصلت بدموع ، ثم قامت ودخلت الهيكل وصلت ثانية ، وعندما انتهت من صلواتها ، أزاحت الغطاء الذى على رأسها وأمسكته بكلتا يديها ونشرته على كل المؤمنين بينما كانت نصعد إلى أعلى .

ورأها القديس أندراوس وإبيفانيوس لمدة طويلة وهى تلمع بنور مجيد سمائى ، وكان هذا استعلان عظيم لحماية العذراء للمؤمنين وصلاتها لأجلهم .

وقد أُعطى لإبيفانيوس أن يرى هذه الرؤية بسبب طلبة أندراوس معلمه لأجله... وقد استراح أندراوس فى الرب بعد ذلك بقليل .

بركة صلاته تكون معنا ، آمين .

سمعان من حمص

(٥٢٢ م - ٥٩٠ م)

SIMEON FROM EMESA

وُلد القديس سمعان نحو عام ٥٢٢م فى مدينة أديسا ، وكان والداه من النبلاء الأثرياء ، وعندما بلغ عامه الثلاثين ذهب إلى أورشليم ليأخذ بركة صليب مخلصنا ، ومن هناك ذهب إلى دير القديس چيراسموس *Gerasmos* حيث ألبسه رئيس الدير الاسكيم الملائكى .

وبعد عام ترك الدير سراً واستقر فى البرية التى بالقرب من البحر الميت حيث أسلم نفسه لجهاد عظيم متحملاً شراً وقساوة شديدة من الشيطان ومن الإنسان لمدة ثلاثين عام ، وكان ثمرة هذا الجهاد أن بلغ اللاهوى المبارك ، حتى صار جسده مثل الخشبة عديمة الحس التى لا تشتهى شيئاً .

وفى عام ٥٨٢م ترك سمعان البرية «ليوبخ العالم» ، ولكن

قبل أن يحمل نير الجهالة من أجل الله ، ذهب ثانية إلى أورشليم ليمجد صليب مخلصنا ، ومن أورشليم ذهب سمعان إلى حمص وبدأ جهاده في الجهالة من أجل المسيح ، ويقول إيفاجريوس المؤرخ * ـ وهو من معاصري سمعان ـ «لقد رفض هذا الإنسان المجد الباطل لدرجة ان من لا يعرفه كان يحسبه مجنوناً ، رغم انه كان مملوء بالحكمة والنعمة من الله ، وأغلب أوقاته كان يقضيها وحده ، دون أن يسمح لأحد أن يكتشف متى وكيف يصلي أو متى يأكل أو متى يصوم.. احياناً كان يظهر في الطرق الرئيسية وفي الميادين في حالة من الدهش ، كأنه مجرد تماماً من حواسه ومجنون ، واحياناً أخرى كان يتألم من الجوع ويدخل متسللاً إلى احد المطاعم ويأكل أول طعام يكون في متناوله ، وإذا عبر أحد عن احترامه له ،كان يغادر المكان في الحال خشية أن تُعرف فضيلته» .

وفي السيرة التفصيلية للقديس يُروى أنه وجد ذات مرة كلباً ميتاً فوق تل من القمامة خارج المدينة ، فخلع الحبل الذي

* انظر كتابنا «الآباء المؤرخون» ضمن هذه السلسلة أختوس IXΘYΣ .

كان يتمنطق به وربط الكلب ، ثم جره عبر المدينة ، ورآه بعض الصبية وبدأوا يصيحون «راهب مجنون ، راهب مجنون» وأخذوا يقذفونه بالحجارة ويضربونه بالعصا .

وحدث أن تاجراً رأى سمعان واقفاً بلا عمل ، وفكر أن يحصل على عامل قليل الأجر ، فقال له «لماذا لا تعمل أيها الشيخ؟ تعال واعمل فى المحل الذى لى» فوافق سمعان ولكن ما إن تركه التاجر وحده فى المحل ، حتى بدأ يوزع البضائع مجاناً لكل شخص محتاج يمر به ، وعندما حضر التاجر ليطمئن على المحل ، سر بأن البضائع نفذت كلها تقريباً ، ولكن عندما اكتشف أنه ليس هناك نقود ، وأن البضاعة كلها قد أعطيت صدقة ، ضرب القديس بعنف وطرده .

كان للقديس عدة أصدقاء مقربين كان يتصرف معهم بطريقة طبيعية وبدون إدعاء الجنون ، وأحد هؤلاء الأصدقاء كان خادماً له علاقة خاطئة باحدى الخادمات ، فكان أن حبلت هذه الفتاة ، وعندما أصر سيد هذه الفتاة على أن تذكر اسم الشخص الذى أخطأ معها ، ادعت انه سمعان واقسمت على ذلك ، وعندما

سمع سمعان ذلك لم ينكر ، لكنه قال فقط ان جسده إناء ضعيف ، وعندما انتشر هذا الخبر فى كل مكان وجلب خزى شديد لسمعان ، اختفى تماماً ولم يعد يظهر أمام الناس ، وكان المفترض أن ذلك بسبب خجله وخزيه ... وعندما حان زمان ولادتها ، جاءتها آلام لا تُطاق وصارت حياتها فى خطر ، وهنا ظهر سمعان وتوسل إليه الناس أن يصلى من أجل الفتاة المعذبة ، فأعلن على مسامع الجميع أن هذه المرأة لن تلد حتى تذكر بصدق اسم الشخص الذى أخطأت معه ، وما إن ذكرت اسم الشخص الحقيقى حتى ولدت بسهولة وبلا تعب .

وفى عام ٥٨٨م تنبأ القديس سمعان بحدوث زلزال يهز ساحل فينيقية وخاصة مدن بيروت وطرابلس ، فقبل عدة أيام من حدوث هذا الزلزال ، أخذ سمعان سوطاً وضرب بعض الأعمدة التى كانت المبانى قائمة فوقها قائلاً لبعضها «الرب يأمرك أن تقف ثابتاً» وللبعض الأخر كان يقول «لا تقف ولا تسقط» ، وأثناء الزلزال ، ظلت كل الأعمدة التى أمرها القديس أن تقف ثابتة بدون أدنى ضرر ، بينما سقط العديد من الأعمدة الأخرى هى والمبانى التى عليها ، أما الأعمدة

التى قال لها «لا تقف ولا تسقط» فقد اهتزت فقط من القمة إلى الأساس لكنها لم تسقط .

وقبل نياحته بيومين ، تحدث سمعان مع صديقه الشماس يوحنا وعلمه عن خلاص النفس وتنبأ بنياحته القريبة ، ووعده الشماس أن يأتى إلى كوخه بعد يومين ، وظل سمعان فى كوخه حتى نياحته ، وعندما لاحظ المتسولون الذين كانوا أصدقائه أنهم لم يروه منذ يومين ، ذهبوا ليروا إن كان مريضاً فوجدوه فى الكوخ ، ممدداً متنيحاً تحت سريره ، فذاك الذى عاش مجنوناً ، تنيح مجنوناً تحت سريره وليس فوقه ، ساعياً إلى الاتضاع حتى فى نياحته .

حمل المتسولون جسد خادم المسيح وذهبوا به إلى المقابر ، وفى موكبهم البسيط هذا عبروا ببيت إنسان يهودى اعتمد حديثاً ، وبينما كانوا يمرون خارج البيت سمع ذلك المعتمد حديثاً أصوات تسبيح ملائكى ، فأسرع الى النافذة ليرى ما يحدث خارجاً ، لكنه لم يرى سوى متسولين يحملون جسد مجنون ميت إلى مقابر الفقراء ، بينما استمرت أصوات التسبيح العجيب إذ

كانت ملائكة الله ترافق جسد المجنون القديس ، وفاحت في الجو رائحة ذكية ، فاسرع ذاك المسيحي وهو يمجد الله لكي يشترك في الموكب البسيط ، ودفن بيديه الجسد الطاهر ثم أخبر الجميع بالتسبيح العجيب والرائحة الذكية التي رافقت جسد القديس .

جاء الشماس يوحنا إلى الكوخ متأخراً فلم يجد جسد القديس ، فبحث ببكاء عن الموضع الذي دُفن فيه صديقه الشيخ ، إذ كان يريد أن يدفنه دفناً مكرماً ، وبعد مرور فترة من الزمن ، عندما فُتح الصندوق المدفون فيه سمعان ، لم يكن الجسد موجوداً فيه ، إذ نقله الله لمكان غير معروف للناس وفقط عندئذ أدرك الناس أن هذا المجنون كان أحكم الحكماء .

رقد سمعان في الرب في ١ يوليو نحو عام ٥٩٠م ، وجمع الشماس يوحنا تفاصيل سيرته وسلمها إلى الأسقف ليونتيوس ، أسقف نيوبوليس في قبرص ، فنشرها ليونتيوس من أجل نفع وتهذيب المؤمنين .

بركة صلاته تكون معنا ، آمين

توما السريانى

(نحو عام ٥٤٤م)

RIGHTEOUS THOMAS OF SYRIA

ترهب توما البار فى سوريا ، وعاش حياة فضيلة متميزة ، ولكنه كان يخشى أن يسقط فى الكبرياء والعجب بسبب مديح الأخرين ، ولكى يخفى فضيلته ، بدأ يسير فى درب الجهالة لأجل المسيح ، ورغم أن الجميع كانوا يعتبرونه مجنوناً عديم العقل ، إلا أن رئيس الدير كان يعرف جهاده الخفى ، وكان يوكل إليه أعمالاً عادية بل واحياناً مسئوليات هامة .

وأثناء قيامه باحدى هذه الأعمال ، أعلن الله مجد خادمه... فقد أرسل رئيس الدير توما إلى أنطاكية ليتسلم حصة الدير السنوية من الطعام ، والتى كان بطريرك أنطاكية يقدمها لهم ، وتزامنت زيارة توما للمدينة مع حدوث وباء اجتاح المنطقة ، وبينما كان القديس ينتظر فى أنطاكية ، كان

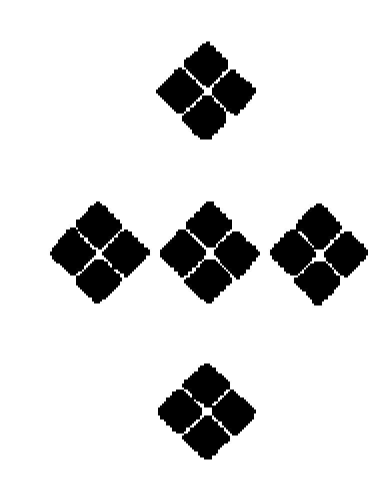
كثيراً ما يقترب من أحد رؤساء الاكليروس ويُدعى أنسطاسيوس ويسأله بطريقة تظهر فيها علامات الجنون أن يعطيه صدقة لديره ، فصفعه أنسطاسيوس صفعة شديدة على وجهه ، وعندما اعترض الحاضرون على ذلك ، هدأهم توما قائلاً: «في المستقبل ، أنا لن أخذ ، وأنسطاسيوس لن يعطى» .

وسرعان ما تحققت هذه النبوة ، لأن أنسطاسيوس تنيح في اليوم التالي ، وخرج توما في رحلة العودة إلى ديره لكنه سقط مريضاً في احدى ضواحي أنطاكية ، وتنيح بعد ذلك بقليل في كنيسة القديس أفتيميوس ، حيث كان قد ذهب هناك ليصلي ، ودُفن جسده في مقبرة الغرباء مع آخرين .

وبمعجزة من الله الذى أراد أن يمجد قديسه ، رفعت الأرض الأجساد الأخرى خارج مقبرة الغرباء هذه ، وبعد أن أُعيدت الأجساد داخل القبر ثانية ، رفعتها الأرض أيضاً فقُصّ الأمر على البطريرك أفرآم الذى أمر أن يُخرج من بينها جسد الراهب توما ، وعندما عروا الجسد وجدوه سليماً تماماً لم يمسه

فساد بل كان عبق الرائحة ، فأمر البطريرك أن تحمل الرفات إلى أنطاكية فى احتفال مهيب ، وخرج المواطنون الأتقياء لاستقبال الجسد بالشموع والأكاليل ، ووضعت الرفات فى مقبرة خاصة ، ولُوحظ انه يوم أن دخلت الرفات المدينة ، توقف الوباء .

بركة صلاته تكون معنا ، آمين .



اسحق الحبيس البار

(عام ١٠٩٠م)

RIGHTEOUS ISAAK THE RECLUSE

يعتبر اسحق أول الآباء الروس الذين دخلوا فى درب الجهالة لأجل المسيح ، وفى سيرته نجد واحدة من أول الخبرات فى روسيا عن خداع الشياطين .

عاش اسحق فى النصف الثانى من القرن التاسع ، وكان تاجراً ثرياً فى مدينة *Toropets*، لكنه شعر بدعوة شديدة إلى الرهبنة ، فباع كل ما كان يملك ، وأعطى ثمنه للفقراء ، وحمل صليبه وتبع المسيح ، فقاد الرب خادمه المطيع إلى دير كيف *Kiev* حيث استقبله الأب أنطونيوس أبو الرهبنة الروسية وألبسه الاسكيم المقدس .

أُختير اسحق ليكون إناءً ثميناً خاصة للجهادات العظيمة ، فارتدى قميصاً من الشعر تحت جلبابه ، وبدأ يسلك فى حياة

نسكية صارمة ، وفيما بعد أخذ جلد ماعز مذبوح حديثاً وصنع منه قميصاً ضيقاً ، ارتداه فوق قميص الشعر ، فجف جلد الماعز عليه ، وهكذا بدأ جهاده الجاد القاسى ضد الشهوات والأهواء .

طلب اسحق بركة أبيه الروحى وسماحه له بأن ينفرد ويخرج لحياة الوحدة ، وبالفعل باركه وسمح له بذلك ، فأغلق على نفسه فى كهف صغير ، وهناك كان يصلى لله بدموع ، أما عن طعامه ، فلم يكن يأكل إلا قربانة واحدة فى اليوم مع مقدار من الماء .

واعتاد الأب أنطونيوس أن يُحضر إليه احتياجاته من الماء والطعام ، وكان يعطيها له من نافذة صغيرة للغاية لدرجة أن يده كانت تدخل بصعوبة منها .

قضى اسحق سبعة سنوات فى هذا الجهاد ، دون أن يخرج ابداً إلى النور ، ودون أن يستلقى أبداً ، بل كان يغفو غفوة قصيرة وهو جالس ، وفى المساء كان يضرب ميطانيات بلا توقف حتى نصف الليل عندما يتعب فيجلس .

ومن أجل تعليم رهبان روسيا عن حروب الشياطين وخداعاتهم ، سمح الله للشرير أن يخدع اسحق ، وحدث الأمر هكذا :

بينما كان اسحق جالساً ليستريح ، وقد أنطفأت شمعته ، بغتة صارت المغارة مضيئة بنور بهى ، وظهر له شخصان مضيئان ، وكان وجهيهما يضيئان مثل الشمس ، وقالا : «اسحق ، إننا ملائكة ، والمسيح سيأتى إليك ، فاسجد له!» فلم يفهم القديس عمل الشياطين هذا ، ودون أن يحصن نفسه بعلامة الصليب المقدسة أو بشعوره بعدم استحقاقه ، سجد إلى الأرض أمام الشكل الذى ظهرله كما لو كان أمام المسيح ، فصرخت الشياطين «اسحق ، أنت ملْكُنَا!!»... وهكذا أخذوه خارج القلاية وأجلسوه ، ثم صارت القلاية كلها بل وحتى حدود الكهف مملوءة بهذه الأشكال الشبيهة بالملائكة ، وقال له الشيطان الذى ظهر له بصورة المسيح «خذ مزمار ودفوف والعب... فليرقص معنا اسحق»، وبدأوا يعزفون ، وارهقوا اسحق للغاية لدرجة أنهم تركوه على وشك الموت ، وعندما بلغ حالة من الإغماء التام ، أخذ الشياطين يستهزئون به ويسخرون

منه ، ثم رحلوا .

وعند الفجر ، أتى الأب أنطونيوس كالمعتاد إلى نافذة اسحق ، ولكنه لم يجد إجابة ، فظن انه قد تنيح ، وارسل إلى الدير إلى الأب ثيؤدوسيوس والأخوة ، فحضروا وفتحوا المحبسة وحملوا اسحق خارجاً وكانوا يحسبونه ميتاً ، ولكن عندما نظروا إليه في نور النهار ، لاحظوا أنه لا يزال حياً ، فقال الأب ثيؤدوسيوس «هذا عمل الشياطين» ووضعوا اسحق على سرير في إحدى قلالي الدير .

اعتنى الأب أنطونيوس بنفسه بهذا الناسك المريض ، وعندما خلفه ثيؤدوسيوس في رئاسة الدير ، احضر اسحق إلى قلايته واعتنى هو ايضاً به ، وكان اسحق في حالة من العجز التام لدرجة انه كان مستلقى غير قادر على الحركة أو حتى التحدث لمدة تربو على العامين ، ولانه كان مستلقى على جانب واحد دوماً ، لذلك تقيح جنبه وظهر فيه الدود مرات عديدة ، فكان ثيؤدوسيوس يطهر تقيحاته ويغسل جسد المجاهد بيديه ، مصلياً باستمرار من أجل شفائه ، وفي العام الثالث

بدأ اسحق يتكلم ويسمع ، وبعد فترة بدأ يمشي ثانية رغم ان خطواته الأولى كانت مثل خطوات الأطفال ، ولم يكن يريد أن يذهب إلى الكنيسة ، لكنه أُقتيد إلى هناك رغماً عنه ، ثم دربوه أن يذهب إلى مائدة الطعام حيث وُضع الخبز أمامه ولكنه لم يكن يلمسه حتى يضعه أحد الأخوة فى يديه ، واخيراً قال ثيؤدوسيوس "دعوه يأكل بنفسه" ولمدة أسبوع لم يأكل أى خبز ولكن قليلاً قليلاً تعلم أن يأكل وتعافى من صدمته الرهيبة .

أثناء رئاسة الأب استفانا الذى خلف ثيؤدوسيوس ، شُفى اسحق تماماً من مرضه ، وبدأ يحيا حياة صارمة ثانية ، ولكنه لم يرجع إلى المغارة ، بل أخذ بركة أبيه لكى يحمل نير الجهالة من أجل المسيح ، ومرة أخرى ارتدى قميص الشعر وفوقه لبس ثياب فلاح عادى ، أما حذاءه فكان ممزقاً تماماً .

كُلف اسحق بالعمل فى المطبخ كمساعد للطباخ ، وفى كل صباح كان يذهب إلى الكنيسة قبل كل أحد ويقف بلا حراك طوال خدمة باكر وبعد ذلك كان يسرع إلى المطبخ ليعد النار .

وكان أحد الطباخين دائم الضحك على اسحق وكان يضايقه

كثيراً ، وإذ ظن انه مجنون تماماً ، اشار الطباخ ذات مرة إلى بقعة خاوية وقال لاسحق: « اسحق ، ها هو غراب واقف هناك اذهب واحضره » فانحنى اسحق أمامه وذهب إلى المكان الذى اشار عليه ، ولتعجب ودهشة الجميع وعلى مرئ منهم ، عاد ومعه غراب فى يديه ، فاندهش الطهاة واعلموا رئيس الدير والأخوة بما حدث ، ومنذ ذاك الحين ، بدأ الأخوة يظهرون احتراماً خاصاً لاسحق ، وإذ خشى من المجد الباطل ، بدأ هذا المجاهد يسلك بطريقة أكثر جنوناً ، وأخذ يثير الرئيس والأخوة لدرجة انه كثيراً ما كان يُشتم ويُضرب .

وفى رئاسة الأب نيكون *Nikon* عاد اسحق ثانية إلى مغارة القديس أنطونيوس وبدأ يزيد من جهاداته ، وعندما كان الأطفال يذهبون إلى المغارة كان القديس يلبسهم لبس الرهبان ولذلك كثيراً ما كان أباؤهم يضايقونه أو حتى يضربونه ، وهكذا تقدم اسحق فى فضيلة الصبر ، لانه احتمل كل شئ بوداعة : الضربات والاهانات والبرد الذى كان يخترق ثيابه الرثة وقدميه العارية تقريباً ، وفى إحدى الليالى أشعل موقداً

فى مغارته ، وإذ كان الموقد فى حالة رديئة ، بدأت النيران تجد طريقها من فتحات الموقد إلى المغارة ، وإذ لم يكن عنده شيئاً يمكن أن يغلقها به ، وقف اسحق عليها بقدميه العارية ، ولم يتنحى عنها حتى احترق الموقد تماماً ، ويقول نسطور المؤرخ: «وأمور كثيرة أخرى رويت عنه ورأيت بعضها بنفسى».

اخيراً أعطى اسحق قوة وسلطان على الشياطين لدرجة انه كان يقيدهم وكان يعاملهم كالذباب قائلاً لهم «لقد خدعتمونى قبلاً فى المغارة لأننى لم أعرف خداعكم ، والآن إلهى وربى يسوع معى وكذلك صلوات أبى ثيؤدوسيوس ، وهكذا أرجو أن أهزمكم» .

ومع ذلك صنعت به الشايطين شروراً كثيرة وكانت تقول له: «أنت ملِكُنَا ، أنت انحنيت لكبيرنا ولنا» .

فكان يجيبهم «إن كبيركم هو عدو المسيح ، وأنتم أشرار» ويحصن نفسه بعلامة الصليب المقدس ، فكانوا يختفون ، واحياناً كانوا يحاربونه ليلاً محاولين أن يطفوه بالخوف ، وكانوا يظهرون فى هيئة جمهور كبير يحملون ألات حادة

صائحين «لنهدم هذه المغارة وندفن هذا الرجل حياً» .

وبعضهم من الناحية الأخرى كانوا يتظاهرون بأنهم يتعاطفون معه ، ويدعونه قائلين «اهرب يا اسحق ، انهم يريدون أن يدفنوك» ولكنه كان يجيب «لو كنتم صالحين لكنتم أتيتم بالنهار ، لكنكم ظلمة وتسيرون فى الظلمة والظلمة هى مصيركم» وعند ذلك كان يرشم نفسه بعلامة الصليب فتختفى الشياطين .

واخيراً نال سلطاناً كاملاً على الشياطين ، ولم يعودوا يزعجوه بعد ذلك ، وقد قال هو بنفسه ان جهاده الأخير استمر ثلاث سنوات ، وقضى سنيه الأخيرة فى نسك عظيم وأصوام وأسهار ، وعندما مرض فى المغارة ، حُمل إلى الدير حيث تنيح بعد ثمانى أيام فى الرابع والعشرين من فبراير عام ١٠٩٠م .

بركة صلاته تكون معنا ، آمين .

بروكوبى من يوستيوج

(عام ١٣٠٣م)

SAINT PROKOPY OF USTIUG

مثل اسحق ، كان بروكوبى تاجراً ثرياً ، ولم يكن بالميلاد روسياً ولا أرثوذكسياً ، وكان يتاجر فى مدينة نوڤجورود *Novgorod* ، وتأثر بعمق بالتعاليم الأرثوذكسية فترك الوثنية ونال نعمة المعمودية ، وتأثر بروكوبى كثيراً بنموذج النسك الأرثوذكسى ، فباع كل ما كان يملك ووزع ثروته على الفقراء وترهب فى دير خوتين *Khutyn* بالقرب من نوڤجورود ، وبعد أن نما فى الطاعة والنقاوة الروحية ، ترك الدير وذهب إلى مدينة يوستيوج العظمى حيث دخل درب الجهالة لأجل المسيح .

كان فى مدينة يوستيوج العديد من الكنائس ، وكانت الكاتدرائية عبارة عن مبنى خشبى عالى ولها مدخل واسع مسقوف ، واختار بروكوبى هذا المدخل ليكون ملجأ له فى

الليل ، أما أثناء النهار فكان يطوف المدينة كمجنون محتملاً السخرية والتوبيخ والضرب من الناس الغليظي القلوب ، كما كان الأطفال يهزأون به ، وفي الليل كان بروكوبي يعود إلى مدخل الكاتدرائية لكي يصلي طوال الليل ، وكان يطلب بحرارة لأجل الذين أساؤا إليه مكرراً الصلاة التى قالها المصلوب «يا أبتاه اغفر لهم لانهم لا يعلمون ماذا يفعلون» .

وعندما كان القديس يتعب ، كان يستريح على كومة من السماد أو على حجر أو على الأرض العارية ، أما ثيابه فكانت عبارة عن أثمال بالية ، وبهذه الثياب الرثة اعتاد أن يحتمل برد الشمال الروسى القارص ، ولم يكن يقبل طعاماً إلا من الفقراء وخائفى الله ، ولكنه لم يكن يقبل شيئاً من الأثرياء ، ولم يكن له أصدقاء حقيقيين سوى شخص يُدعى إيڤان باجا وزوجته كاريا ، وهى أسرة مباركة بنت كنيسة على اسم القديس يوحنا المعمدان ، وفيما بعد أسسوا ديراً .

كان بروكوبى يزور احياناً عائلة باجا ولكنه لم يكن يسمح لنفسه قط أن يستمتع بأسباب الراحة التى كانوا يقدمونها إليه

وكان أب اعترافه هو القديس كبريانوس مؤسس دير الملائكة في يوستيوج ، ولكن القديس لم يستقر ابداً في ذلك الدير .

كان بروكوبى أول الجُهّال الروس الذين اتبعوا درب الجهالة في العالم وليس في دير ، وهو أول مجاهد روسى يقتدى بالقديس أندراوس أشهر الجهال لأجل المسيح ، ومن الغريب أن بعض الحوادث فى حياة بروكوبى مماثلة تماماً لتلك التى حدثت في حياة اندراوس .

في إحدى الليالى القارصة البرد ، كان هناك صقيع شديد للغاية ، وكانت هناك عاصفة ثلجية قوية حتى أن الثلج غطى البيوت وكانت الطيور تسقط ميتة من الهواء ، ويمكن للمرء أن يتخيل كم كان ذلك المناخ صعباً على بروكوبى الذى كان شبه عار ، والذى اعتاد أن يقضى لياليه فى مدخل الكاتدرائية ، وإذ تألم جداً من البرد والثلج ، حاول أن يدخل كوخ بعض الناس الفقراء كى يستدفئ قليلاً ، لكنهم طردوه بعصا واغلقوا الباب في وجهه ، فوجد بعض الكلاب وجلس بالقرب منها كى يجد بعض الدفء منهم ، ولكن الكلاب

هربت منه ، وإذ رأى ذلك المجاهد المتألم انه ليس فقط الناس بل وحتى الكلاب ايضاً احتقرته ، قال لنفسه: «مبارك هو اسم الرب الآن وإلى الأبد وإلى دهر الدهور» وذهب إلى مكانه المعتاد لينتظر الموت ، وبينما هو يرتعد من البرد الذى يدب فى كل أوصاله ، طلب من الله أن يأخذ نفسه ، عندئذ شعر فجأة بدفء عجيب ، فتطلع ورأى ملاك الرب واقفاً أمامه ومعه غصن جميل فى يده ، ولمس الملاك بروكوبى بالغصن الذى فى يده فسرى الدفء فى جسده كله ، وروى بروكوبى هذه الأعجوبة إلى الأب سمعان بعد أن اشترط عليه ألا يرددها إلا بعد نياحته .

أما المكان المفضل لتأملات بروكوبى فكان صخرة كبيرة على ضفة نهر سوخونا *Sukhona* ، ففى ذلك الموضع كان يتأمل فى القوارب التى تمر فى النهر ، وكان يصلى من أجل هؤلاء الذين يستأمنون عناصر الطبيعة غير المضمونة على مصيرهم .

بسبب جهاداته العظيمة وهب الله لبروكوبى نعمة النبوة

وصنع المعجزات ، ففى أحد الآحاد قال بروكوبى للناس: «توبوا عن خطاياكم أيها الأخوة اسرعوا إلى صنع مرضاة الله بالصوم والصلاة وإلا ستخرب المدينة ببَرَدٍ نارى» .

أغلب الذين سمعوا بروكوبى سخروا منه ، وبعد القداس ، جلس بروكوبى فى مدخل الكاتدرائية باكياً واستمر يبكى النهار والليل كله ، وسأله العابرون بالمكان لماذا هو حزين هكذا ، فاجابهم القديس «اسهروا وصلوا كى لا تأتى عليكم بلية» لكن تحذيره هذا ظل بلا استجابة ، وفى اليوم الثالث بينما كان يسير فى المدينة كرر بدموع «ابكوا أيها الأصدقاء ، ابكوا فى صلاتكم صلوا لكى يخلصكم الرب من غضب الحق لكى لا يؤنبكم مثل سدوم وعمورة بسبب تعدياتكم» إلا أن احداً لم يستمع لتحذيره ، وبعد اسبوع ، ظهرت سحابة سوداء على خط الأفق ، وكلما اقتربت من المدينة ، كلما ازداد حجمها حتى صارت سحاب سوداء ضخمة مخيفة تغطى المنطقة كلها ، وتساقطت منها أمطار مبرقة فى خطوط نارية وظهرت أعمدة مرعبة من الرعد فى الهواء بلا توقف .

اهتزت حوائط المبانى من الرعد ولم يعد من الممكن أن تُسمع المحادثات بسبب الأصوات المخيفة ، وفجأة أدرك شعب المدينة صحة تحذيرات بروكوبى ، واندفعوا إلى كاتدرائية والدة الإله .

كان بروكوبى هناك فعلاً مصلياً بدموع أمام أيقونة البشارة لكى تتشفع والدة الإله عند ابنها لأجل هؤلاء الذين يخطئون ، وبدأ الناس يصلون ويبكون لأجل مغفرة خطاياهم ، عندئذ حدثت أعجوبة عظيمة من الله: بدأ زيت عبق الرائحة يفيض من الأيقونة وملأ شذاه الكنيسة ، وفى الوقت عينه تغير المناخ وابتعدت السحابة برعدها وبرقها بعيداً ، واُكتشف فيما بعد أن الكتل النارية التى كانت فى السحابة قد سقطت على إحدى الغابات القريبة من المدينة وحطمت أشجارها ، وعلى أية حال لم يصاب أحد بضرر لا إنسان ولا حيوان .

وفى نفس الوقت فاض زيت كثير من الأيقونة ، لدرجة أن أوانى الكنيسة امتلأت منه ، وكل منْ مُسح به نال شفاء من أى مرض كان يعتريه .

استمر بروكوبى فى حياة الجهالة وتصنع الجنون كما كان سلفاً ، ويجنونه المصطنع هذا اخفى عن أعين الناس النعمة الإلهية الساكنة فيه واعتاد أن يحمل ثلاثة قضبان حديدية فى يده اليسرى ، ولُوحظ انه عندما كان يحملهم ورؤوسهم لأعلى يكون هناك محصول وفير فى ذاك العام ، أما إذا جعل رؤوسها إلى أسفل يكون هناك نقص وقصور فى كل شئ .

رقد بروكوبى فى شيخوخة صالحة يوم ٨ يوليو عام ١٣٠٣م عند بوابات دير رئيس الملائكة ، وبناء على رغبته وطلبه دُفن جسده على ضفة نهر سوخونا بالقرب من الكاتدرائية ووُضعت فوق قبره الصخرة الكبيرة التى اعتاد أن يجلس عليها أمام النهر مصلياً .

وفى عام ١٤٥٨م بُنيت كنيسة على قبره وسرعان ما بدأ العديد من المعجزات يحدث لزوار قبر بروكوبى إذ كان الله يعلن تمجيده لقديسه .

فى عام ١٤٧١م كانت هناك فرق من الجيش من يوستيوج

مهددة بأحد الأوبئة الخطيرة فظهر بروكوبى للعديد من الجنود وعدهم بأن يساعدهم أمام الوباء الرهيب ، وفيما بعد شيد الجنود كنيسة على قبر بروكوبى وبنوا مزاراً له ووضعوا أيقونته فوقه تذكاراً لحمايته لهم .

بركة صلاته تكون معنا ، آمين .

نيقولاس كوشانوف

(عام ١٣٩٢م)

NICHOLAS KOCHANOV

كان مكسيموس ويوليانا من أثرياء ونبلاء نوفجورود العظمى ، وكانا معروفين بتقواهما الحقيقية ، وعاشت هذه الأم حياة مرضية لله لدرجة أن الكنيسة الروسية كرمتها بعد نياحتها ولقبتها بـ «يوليانا البارة» .

لذلك ليس أمراً غريباً أن ابنهما نيقولاس كان طفلاً تقياً للغاية ، وكان محباً للصلاة والصوم والخدمات الكنسية ومواظباً عليها ، لدرجة انه حتى فى شبابه كان شعب مدينته يوقره ويجله ، وبسبب جهاداته الكثيرة وأتعابه ، نال نيقولاس مبكراً جداً ضبطاً لشهواته وللأهواء الشبابية .

ولكن هذا الاحترام والتوقير الذى كان أهل المدينة يظهرونه

نحوه أثقل عليه جداً لانه خشي أن يفقد جعالته فى السماء لكونه ينال أجره من الناس ، كما خشى من السقوط فى العجب والمجد الباطل ، لذلك بنعمة الله أعطى لنيقولاس أن يدخل درب الجهالة من أجل المسيح .

ترك نيقولاس بيته وعائلته وضياعه وخدامه وثروته وبدأ يطوف شوارع المدينة عارى القدمين مرتدياً أثمالاً بالية ، ولم يكن يملك شيئاً خاصاً به بل كان يعيش على ما يتصدق به الناس الأتقياء عليه ، ولم يكن يرتدى شيئاً مختلفاً فى الشتاء بل احتمل أقصى درجات البرودة وهو يرتدى هذه الأثمال فقط ، وبينما كان يهذب جسده كان اهتمامه الأكبر باتضاع روحه ، ولهذا تصنع البله والجنون .

قليلون جداً هم الذين فهموا المعنى الحقيقى لجهاد نيقولاس ، وهؤلاء حاول أن يبتعد عنهم هرباً من المجد الباطل ، وكثيراً ما ضُرب وبُصق عليه ، ولم يكن فقط يحتمل هذا كله بصبر ، بل كان ايضاً يقابل الإساءة بالمحبة وكان يصلى فى الخفاء لأجل المسيئين إليه ، بل انه كان يبتهج بهذه الإهانة لنفسه .

ويروى لنا كاتب سيرته انه كان يحب أكثر من كل شئ أن يكون فى بيت الله ، كما كان يحب أن يزور بيوت الناس البسطاء ليتحدث معهم عن الأهداف الروحية التى ينبغى أن يسعى إليها الإنسان ولكى يهدى أقدامهم إلى طريق الخلاص ، وهكذا كان ينقذ الكثيرين من الضلال .

كان يعزى الحزانى ويعين المجربين ويحث الخطاة على التوبة ، وإذ رأى الله مثل هذه الغيرة فى خادمه ، مجده فى المدينة كلها ، وجذب إليه كل الأتقياء ، ومن بين المعجزات التى مجد الله بها مختاره أثناء حياته على الأرض ، كانت هذه المعجزة العجيبة:

رتب أحد نبلاء المدينة عيداً ودعى إليه الكثيرين من مواطنى المدينة العظماء ، وقبل الوليمة قابل هذا النبيل نيقولاس فى الطريق ، وكان يكن توقيراً كبيراً لذلك المجاهد ، فانحنى أمامه وقال: «يا خادم المسيح اظهر محبة وعطف نحوى ، وتعال اليوم وتعشى فى بيتى» فاجابه القديس: «لو كان هذا مرضياً لله فسيكون لك ذلك» .

وبعـد ذلك ، ذهب القـديس إلى بيت الرجل النبـيل ، ولم يكن صاحب البيت قد عـاد بعد ، وعندما رأى بعض الخدم ذلك المجنون ذا الأثـمال بدأوا يسـخرون منه والبـعض دفـعه بعنف ، والاخرون ضربوه وجمـيعـهم ضحكوا عليـه وشتـموه ، فتـحمل نيـقولاس كل هذه الاهانات بدون دمدمـة ، وبعدمـا طردوه من البيت خرج يجرى فى الشارع كعادته .

اخيراً عاد النبيل إلى بيته وبدأ المدعوون يجتمعون للوليمة وعندما حان تقديم المشروبات للضيوف ، ذهب الخدم ليحضروا المشروبات من الأجران ، ولدهشـتهم وجدوها فـارغـة ، فابلغوا سيدهم بهذا الموقف الغريب وهم خائفون ، فلم يصدقـهم وذهب لينظر بنفسه ، فوجدها فارغة فعلاً ، وحدث اضطراب شديد ، وبدأ النبـيل يرسل خـارجاً ليـشـتـرى مـشـروبات عندمـا تذكـر نيقولاس ، فـفكر انه بالتـأكـيد يستطيع أن يفسـر هذا اللغز ، فسـأل الخـدم عـمـا إذ كـان قـد وصل ، فـأجـابوه «نعم كـان هنا ولكن بعض الخـدم الجـهلة طردوه واسـاءوا إليـه» حـينئـذ فـهم الرجل النبيل ما حدث ، وفى الحال ارسل خدماً من الذين يثق

فيهم ليحضروا نيقولاس ، وقال لهم «لو وجدتموه توسلوا إليه بكل اتضاع ليرجع ويظهر رحمة علىّ أنا الخاطئ» .

عندما وجد الخدم نيقولاس ، انحنوا إلى الأرض أمامه قائلين «يا خادم الله إن خدم سيدنا قد أساءوا إليك ، لكن اظهر رحمة علينا ، اغفر خطيتنا وتعال معنا إلى البيت» ، فاجاب القديس بلطف «طالما أن هذا مرضى لله سوف أفعله» .

ذهب المجاهد فعلاً إلى بيت الرجل النبيل الذى ما إن علم بقدومه حتى استقبله على عتبة المدخل منحنياً إلى الأرض أمامه ، وعندما أجلسه الرجل النبيل مع الضيوف العظماء ، عاد إليه وهو يقول «أيها المبارك نيقولاس اغفر لى خطية عبيدى باركهم كى يحضروا المشروبات» فاجابه القديس «ليكن كما تشاء» فانحنى الرجل أمامه وذهب مع خدمه إلى الأجران فوجدوها مملوءة تماماً .

عرف المبارك كيف أُعلنت نعمة الله فى بيت النبيل بقدومه ، وخشى من المجد الباطل ، فأوصى النبيل قائلاً

«لاتخبر احداً عن هذه النعمة التى أُرسلت إليك حتى يأخذنى الله من هنا» وغادر البيت سراً .

رقد نيقولاس فى الرب يوم ٢٧ يوليو عام ١٣٩٢م ، وكان قد أوصى بمكان دفنه ، وفعلاً نُفذت وصيته... وبعد نياحته بدأ بعض الأتقياء يتذكرون حياته الفاضلة ومعجزاته ، وبدأت رائحة قداسته وشهرته تنتشر .

وهكذا بعد ١٦٢ عاماً من نياحته ، فى عام ١٥٥٤م بنى رئيس أساقفة نوفجورود كنيسة على قبر نيقولاس تمجيداً لذكراه ، وسماها باسم الشهيد بانتليمون ، والذى يُحتفل بعيد استشهاده فى نفس يوم نياحة نيقولاس .

بركة صلاته تكون معنا ، آمين .

ثيؤدور من نوفجورود

(عام ١٣٩٢م)

THEODORE OF NOVGOROD

في سني حياته الأولى ، نال ثيؤدور قدراً من التعليم وكان يجيد القراءة ، ورباه والداه في التقوى ومحبة الله ، وكان يقرأ الأسفار الإلهية وسير القديسين بغيرة ، وتأثر بوجه خاص بالآلام الاختيارية التي كان القديسون يحتملونها وبالصبر العظيم الذي بلغوا به الطوبى الأبدية ، وفي مقتبل شبابه إلتهب بغيرة وحماسة ليقتدي بقديسي الله وأخذ يجاهد في الأصوام ، فلم يكن يأكل شيئاً قط في أيام الأربعاء والجمعة ، وفي الأيام الأخرى كان يأكل بعد غروب الشمس وكان دوماً في هيكل الله ، وتغلغلت كلمات الرسول «نحن جُهال لاجل المسيح» (١كو٤:١٠) بعمق إلى قلبه فاتبع مثال النساك العظام الجُهال لاجل المسيح لانه اختار أن يكون خلاصه عبر طريق الجهالة .

بعد أن ترك بيت والديه وكل مقتنياته الأرضية ، لم يعد له موضع ، وكان يسير عارى القدمين ، أما عن ثيابه فكان نصف عارى ، حتى فى أقصى العواصف الباردة ، وإذا حدث أن أعطاه بعض الأتقياء شيئاً ما ، كان يعطيه على الفور إلى الفقراء ، وكان الكثيرون يضحكون عليه ويسيئون إليه بكلماتهم ويضربونه ، ولكنه احتمل كل شئ بصبر ، وفى الليل عندما كان الجميع يستريحون ، كان ثيؤدور ينهض للصلاة ، وكان يتضرع بحرارة لاجل سلام ورخاء المدينة .

وقد بلغ درجة من القداسة العالية حتى ان البعض شاهده وهو يمشى فوق الماء ، واستعلنت نعمة الله ايضاً فى مرات اخرى فى ثيؤدور إذ قد وُهب نعمة النبوة ، واحياناً كان يسير فى الشوارع وهو يصيح «ادخروا الخبز» وسرعان ما كانت تتضح صحة تحذيره هذا إذ يحدث بعده مجاعة أو نقص فى الخبز .

وإذ علم المجاهد مسبقاً بموعد نياحته ، كان يحيي كل من يقابله فى الشارع قائلاً :«وداعاً إنى ذاهب بعيداً» وقضى

الليل كله فى صلاة عميقة ، ثم مرض لعدة أيام فقط ، وتناول من الأسرار المقدسة ، وأسلم ذاته نقية طاهرة لله فى التاسع عشر من يناير عام ١٣٩٢م ، وكان ثيؤدور قد طلب أن يُدفن فى مكان قريب من السوق وفعلاً نُفذت رغبته ، وفيما بعد بُنيت كنيسة صغيرة فوق قبره وحدثت معجزات شفاء كثيرة هناك .

بركة صلاته تكون معنا ، آمين .

مكسيموس من موسكو

(عام ١٤٣٣م)

MAXIM OF MOSCOW

رغم انه ليس لدينا السيرة التفصيلية لمكسيموس البار ، إلا أننا نعرف أنه تكرس لخدمة الله والقريب وهو لا يزال شاباً ، وللأسف لا نعرف الوسائل التى استعد بها للجهاد النسكى فى طريق الجهالة ، ولكنه ظهر فجأة فى شوارع موسكو شبه عار ، مسرعاً من مكان لأخر ، متحدثاً بالأمثال:

«رغم أن الشتاء قاسى لكن الفردوس حلو»

«لأجل الصبر يهب الله الخلاص» .

كانت الفترة التى جاهد فيها مكسيموس من ١٣٦٠م إلى ١٤٣٣م فترة صعبة بصفة خاصة لروسيا ، إذ كان الشعب واقعاً تحت حكم المغول ، ومتألماً من الجفاف والمجاعات والأوبئة... وبسبب الإماتة الاختيارية ، علّم القديس المتألمين

الصبر والتوبة والرجـاء .

علم مكسيموس الناس ووبخهم باستخدام الأمثال وكانت بعض هذه الأمثال تعتبر ألغازاً لا يفهمها إلا من يوجهها إليه :

«ليس كل شئ من الصوف ، البعض عكس ذلك»

«إذا ضربوك اخضع وانحنى اكثر»

«لا تبكى على من ضُرب بل ابكى على من لم يُضرب» .

كان يوبخ تجار ونبلاء موسكو قائلاً :

«ركن الأيقونة لأجل البيت ، أما الضمير فللبيع»

«بحسب اللحية ابراهيم ، وبحسب الأعمال هامان»

«كل أحد يرشم الصليب ، وليس كل أحد يصلى»

«الله يرى كل زيف ، فهو لن يخدعك ، ولا أنت ستخدعه»

تنيح المبارك فى ١١ نوفمبر عام ١٤٣م ومجده الديان العادل بعد ذلك بالعديد من المعجزات عبر السنوات ، وعندما كُشف الجسد فى ١٥٤٧م وُجد انه لم يفسد .

بركة صلاته تكون معنا ، آمين .

ميخائيل من كلوبسكو

(عام ١٤٥٥م)

SAINT MICHAEL OF KLOPSKO

في ٢٣ يوليو عام ١٤٠٨م ، كان رهبان دير كلوبسكو يصلون باكر في كنيسة الثالوث القدوس ، وبينما كان القمص مكاري يبخر الكنيسة ، ذهب ايضاً ليبخر قلايته التي كانت بجوار الكنيسة ، وكان قد ترك بابها مغلقاً ، لكن عندما وصل إليها وجد لدهشته الكبيرة الباب مفتوحاً وبالداخل يجلس راهب غريب على المكتب وبجواره شمعة مشتعلة ينسخ على ضوئها سفر أعمال الرسل .

أسرع الأب مكاري وأخبر رئيس الدير بذلك ، وبعد انتهاء الصلاة ، ذهب رئيس الدير ومعه الأخوة إلى قلاية الأب مكاري ، وإذ وجدوا الباب مغلقاً وموصداً من الداخل ، كسروه ودخلوا ، ولدهشتهم الكبيرة ، وجدوا الراهب الغريب مستمراً

في الكتابة بهدوء وطمأنينة ، ولما سأله رئيس الدير من هو ، وما هو اسمه ، كرر الغريب نفس الأسئلة بطريقة بلهاء .

ومضى معهم إلى الكنيسة لحضور القداس ، وكان يسبح مع رهبان الدير ، وقرأ الرسائل حسناً ، وأثناء مائدة الطعام ، قرأ سيرة أحد القديسين ببراعة .

وباءت محاولات رئيس الدير للتعرف على هذا الغريب وعلى هويته بالفشل ، ومع هذا اعطاه قلاية واستقر الغريب في الدير عام ١٤٠٨م ، وظل هناك حتى نياحته ، وكان صارماً في صومه ، لا يأكل إلا بعض الخبز مع قليل من الماء مرة واحدة في الاسبوع ، ولم يكن يقتني أي شئ في قلايته ولا حتى فراش لينام عليه .

وعندما رأه الأخوة ينتهج هذه الحياة المجاهدة في الصلوات والأصوام والأتعاب ، بدأوا يوقرونه ويحترمونه كثيراً ، وكي يحمي نفسه من العجب والمجد الفارغ ، بدأ يتصنع الجنون في كل شئ واتخذ من اصطناع الجهالة والبلة طريقاً له إلى

ملكوت السموات ، واستمر فى هذه الحياة حتى نياحته .

وحدث فى عيد التجلى أن زار الأمير قسطنطين وزوجته الدير ، وبعد القداس جلس الأمير مع الآباء فى المائدة ، وتصادف أن أمر الأب الرئيس الراهب الهبيل أن يقرأ حياة أيوب البار على المائدة ، وما إن سمع الأمير قسطنطين صوت القارئ حتى نهض على قدميه وذهب إليه وانحنى أمام ذلك الراهب المجهول الاسم ، والتفت إلى رئيس الدير وقال : «هذا هو قريبنا ميخائيل مكسيموفيش» .

وعندما سأل رئيس الدير ميخائيل باحترام «لماذا تخفى اسمك عنا ؟» أجابه «الله يعلم» وأقر انه ميخائيل ابن عائلة مكسيموفيش الشهيرة ، فبدأ الآباء يوقرونه جداً ، ولكن إذ كانت الشهرة وتكريم الناس له غير مرغوبة من قبله بالمرة ، لذلك ضاعف من جهاده فى الجهالة وتصنع البله ، ومع ذلك كانت نعمة الله النامية على الدوام فى نفس هذا المجاهد تستعلن كثيراً أمام الجميع .

عندما تنيح يوحنا رئيس الأساقفة فى عام ١٤١٠م ، قال ميخائيل لثيؤدوسيوس رئيس الدير «سوف تجلس فى بيت السيد ولكنك لن تستطيع أن تخدم مائدة السيد» وبعد نياحة سمعان عام ١٤٢٠م ، اختار شعب نوفجورود ثيؤدوسيوس ليكون رئيساً للأساقفة ، وهكذا تحققت نبوة ميخائيل وجلس فى بيت السيد ، لكنه قضى عامين فقط فى هذه الخدمة ثم رجع إلى ديره تكملة لتحقيق نبوة ميخائيل .

حدث جفاف شديد فى الأراضى التى على حدود نوفجورود واستمر لمدة ثلاث أعوام ، وجفت كل الينابيع التى كانت تروى الدير ، بل وحتى نهر فيريازها *Veryazha* الذى كان يروى الدير جف هو ايضاً .

وعندما خرج قندلفت* الدير للبحث عن ماء ، رأى ميخائيل يكتب شيئاً على الرمال على ضفة النهر الجاف ، وعندما أعلم الرئيس بذلك ، ذهب بنفسه وقرأ الكلمات المكتوبة «سوف اقبل كأس الخلاص ، فى هذا الموضع سيظهر

* الراهب الكنائسى .

نبع» ولما سأله رئيس الدير عما يعنيه بهذا الكلام اكتفى ميخائيل بترديد الكلمات المكتوبة . فبدأ رئيس الدير والأخوة وميخائيل يحفرون فى الأرض ، وفجأة انفجر نبع من الماء ، وكان ماؤه يكفى لسد احتياج السكان المجاورين للدير .

وبعد الجفاف حدثت مجاعة فى أقليم نوفجورود ، وبدأت جموع الفقراء تأتى إلى الدير طلباً للخبز ، وبينما كان المخزون يقل ، بدأ رئيس الدير يقلق ويخشى أن تفرغ مخازن الدير ، فقال له ميخائيل «لو كان خمسة آلاف دون الأطفال والنساء ، قد أُطعموا بخمسة أرغفة ، وأربعة آلاف أُطعموا بسبعة أرغفة ، هل نحتقر منْ يطلب منا ؟» وتوسل إلى رئيس الدير أن يطعم كل من يأتى إليه ، وبدأ الكثير من الأخوة يتضررون من أن الخبز كله كان يُعطى للسائلين ، لكن ميخائيل أخذ رئيس الدير والأخوة إلى المخزن فرأوا لدهشتهم أن مخزون الخبز لم ينقص رغم كثرة ما قد أُعطى صدقة .

فى أحد الأيام ، بينما كان رئيس الدير يقف فى الكنيسة أثناء الليتورچيا ، ذهب إليه ميخائيل وقال له «هناك ضيوف

يريدون أن يأتوا إلينا » وفى نهاية الخدمة بينما كان رئيس الدير يغادر الكنيسة رأى ثلاثة رجال غرباء فى الفناء ، فقال ميخائيل «ادعهم إلى المائدة» فدعاهم الرئيس ولكن الزائرين قالا «أن رفقاءنا خارج الدير» فأمر الرئيس أن يُدعوا هم أيضاً ، وتبين أن هؤلاء الرفقاء ما هم إلا ثلاثين من اللصوص المسلحين ، وقادهم ميخائيل جميعاً إلى المائدة ودخلوا كلهم ليأكلوا ، عدا اثنين كانا ينظران ولا يأكلان فسألهم ميخائيل «لماذا لا تأكلا؟ فلتثقوا أن نواياكم الشريرة لن تتحقق» فأذهلت هذه الكلمات اللصين لدرجة أنهما سقطا إلى الأرض ولم يستطيعا أن يتكلما ، أما الآخرون فأنتابهم الفزع ، وخشوا أن يحدث لهم الأمر عينه ، واعطوا رئيس الدير عطية وطلبوا منه أن يصلى لزميليهم المصابين ، ثم هربوا من الدير ، وبعد وقت قصير بدأ اللصان يتماثلان للشفاء ، وطلب أحدهم أن يترهب أما الآخر فترك الدير على عجالة ، وكان رئيس الدير يخش أن يقبل اللص التائب لكن ميخائيل نصحه أن يقبله ، فترهب ولكنه تنيح بعد ذلك بقليل .

كان ميخائيل يتنبأ بما سيحدث فى المستقبل ، وتنبأ بسقوط نوفجورود العظمى ، والتى كانت فى ذلك الوقت فى قمة شهرتها ومجدها ، وفعلاً تحققت نبوته هذه عام ١٤٧١م .

أُستعلنت نعمة النبوة فى ميخائيل قبل أن يصل إلى كلوبسكو وايضاً بعد نياحته ، ومن أشهر القصص التى تروى عنه:

كان ميخائيل يسير يوماً فى الطريق عندما بدأت مجموعة من الصبية تسخر منه فى الطريق بسبب بلهه وجنونه الظاهرى وأخذوا يقذفونه بالحجارة والقمامة ، لكنه تجاهل ذلك وذهب إلى أحد الأولاد الذى كان يقف هادئاً بالقرب من الكنيسة ، وأمسكه من شعره ورفعه إلى أعلى وقال «يوحنا ذاكر الكتب حسناً ، سوف تكون رئيس أساقفة نوفجورود العظمى» وبالفعل تحققت نبوته هذه وصار رئيساً لأساقفة نوفجورود .

وبعد أن عاش فى دير الثالوث القدوس (كلوبسكو) لمدة ٤٤ عاماً ، تنيح ميخائيل المجاهد فى ١ يناير عام ١٤٥٥م ،

وكما تنبأ للآخرين ، كذلك تنبأ بموعد انتقاله ، فقد لُوحظ أنه لم يعد يدخل الكنيسة أثناء الخدمات الإلهية ، بل كان يجلس خارجاً عن يمين الكنيسة ، وعندما سأله رئيس الدير عن سبب ذلك ، اجابه بكلمات المزمور «هذه هى راحتى إلى الأبد ههنا اسكن لأننى اشتهيتها» (مز١٣١:١٤) وفى الخامس من ديسمبر اصابه مرض عضال استمر حتى العاشر من يناير ، وفى ذلك اليوم دعا أخوته فى الدير لكى يطلب صفحهم ويودعهم ، وبكى الرهبان وطلبوا بركته وصلواته ، فعزاهم ووعد ألا يترك الدير حتى بعد نياحته ، ولما رأى رئيس الدير شدة مرض ميخائيل أراد أن يناوله من الأسرار المقدسة بسرعة ، لكن القديس أجّل التناول إلى اليوم التالى ، ولدهشة الجميع حضر بنفسه القداس فى الصباح التالى ، وبعد القداس أخذ القديس فحماً وبخور ووضعهما فى الشورية وأخذها معه إلى قلايته ، وإذ استراح رئيس الدير لتحسن صحة ميخائيل ، أرسل طعاماً إلى قلايته ، فوجده الأخوة قد تنيح ويديه على صدره على شكل صليب ، وعندما انتشر خبر

نياحته امتلأ الدير بالبكاء والحزن ، واسرع الرئيس والاكليروس إلى القلاية التى امتلأت برائحة البخور واجتمع حشد كبير ليحضروا جنازة الأبله المحبوب ، وحدثت أعجوبة عند دفنه: فعندما حاولوا حفر قبر له ، وجدوا الأرض صلبة كالصخر لوجود ثلج ثقيل للغاية عليها ، عندئذ تذكر الرئيس المكان الذى كان ميخائيل يجلس فيه عن يمين الكنيسة أثناء الخدمات الإلهية فى أيامه الأخيرة ، فأمرهم أن يحفروا فى هذا المكان ، ولدهشة الجميع ، وجدوا الأرض سهلة الحفر كأنهم فى الصيف ، وامتلأ الأخوة بالخوف المقدس ودفنوا المجاهد الذى اتضح انه اختار المكان الذى أراد أن يُدفن فيه ، وفاض نبع من المعجزات والعجائب من جسده شهادة على عمل الله .

بركة صلاته تكون معنا ، آمين .

يوحنا من يوستيوج

(عام ١٤٩٤م)

JOHN OF USTIUG

خلف نهر سيخونا ، فى قرية بيخوف *Pykhov* بالقرب من يوستيوج القديمة ، عاش سابا وماريا ، وهما زوجان تقيان متقدمان فى الأيام ، وإذ تحنن الرب عليهما ووهبهما ابناً ، تذكرا اليصابات وزكريا الذين كانا متقدمين فى الأيام مثلهما فسميا الصبى ايضاً يوحنا ، وكان هذه نبوة لأن يوحنا الصغير هذا اتبع خطوات ونهج يوحنا الصابغ فعلاً .

فى طفولته المبكرة ، كان يوحنا يعيش حياة نسكية صارمة فلم يكن يأكل شيئاً البتة يومى الأربعاء والجمعة ، بينما فى الأيام العادية كان يأكل عادة خبزاً وملح ، وعندما سألته أمه لماذا يصوم صوماً قاسياً هكذا وهو لا يزال طفلاً ، أجابها «لكى أخلص من الخطية ، فليس أحد بلا خطية إلا الله..

إنني لن اطعم جسدى لئلا يصير عدوى» .

انتقلت العائلة إلى مدينة أورليتس *Orlets*، وسرعان ما تنيح أبوه فمضت أمه ماريا إلى دير الثالوث القدوس للراهبات في أورليتس .

وعاش ابنها يوحنا معها وهو مستمر في جهاده ، وفيما بعد خرج للجهاد في درب الجهالة وتصنع البله لأجل المسيح ، واستودعته أمه بسلام لمشيئة الله .

عاد يوحنا إلى مسقط رأسه في بوستيوج ، وبالقرب من إحدى الكنائس ، عاش في كوخ بناه له أحد الأتقياء ، وكان يقضى الليل في الصلاة ، وفي النهار يطوف الشوارع متصنعاً الجنون محتملاً الضرب والشتيمة والاهانة من كل نوع بصبر تام واتضاع حقيقي ، نصف عارى ، لا يرتدى إلا قميصاً طويلاً ، متمنطقاً عند الوسط ، ومتبعاً مثال بروكوبي ، كان يوحنا يستريح على كومة من السماد متى تعب لكنه قلما كان يستريح .

كان القديس يوحنا يخفي حياة الصلاة عن كل عين لئلا يهلك بالمجد الفارغ ، لكنه لم يستطع أن يخفي قداسته عن الجميع ، ذلك أن الأب جرجس وهو كاهن تقى فى الكاتدرائية كان شغوفاً أن يعرف كيف يقضي هذا المجنون لياليه ، فتسلل ذات ليلة فى الشتاء إلى كوخ يوحنا ، واسترق النظر من فتحة فى الحائط ، فوجد يوحنا يصلى لعدة ساعات ويداه مرفوعتان إلى السماء لأجل هؤلاء الذين اساءوا إليه ، وبعد ان انتهى من صلاته ، بدأ يشعل الفحم ، ثم رشم نفسه بعلامة الصليب وهو يقول «ليشرق علينا نور وجهك يارب» وبسلام وهدوء استلقى على جمر الفحم الأحمر .

فزع الأب يوحنا وفقد السيطرة على نفسه ، واندفع داخل الكوخ ، فخرج القديس من النار ونظر إلى القس المندهش وقال «لا تخبر أحداً بهذا حتى موتى» فوعده القس بذلك .

حدث ايضاً أن الأميرة ماريا زوجة حاكم يوستيوج الأمير ثيؤدور ، سقطت صرعى حمى خطيرة ، فارسلوا أحد الخدم إلى القديس يوحنا لكى يحضر ليصلى لأجلها ، ووجده الخادم

مستلقياً على كومة من السماد ، وقبل أن يقترب منه صاح يوحنا «كيف حال الأمير الصالح ثيؤدور وأميرته؟» وعند عودة الخادم إلى بيت الأمير ، وجد الأميرة قد تعافت تماماً .

رقد يوحنا في الرب في ٢٩ مايو ودُفن بالقرب من كنيسة الكاتدرائية التي قضى بالقرب منها حياته على الأرض في جهادات مضيئة لله .

بركة صلاته تكون معنا ، آمين .

إيسيذروس من روستوف

(عام ١٤٧٤م)

ISIDORE OF ROSTOV

عاش إيسيذروس فى منتصف القرن الخامس عشر ، فى أحد أقاليم بروسيا ، وإذ وجد أن الفكر الكاثوليكى يسود فى بلدته ، اعتزم أن ينتقل إلى أرض أرثوذكسية ، ورغم انه كان من طبقة التجار الأثرياء إلا انه ترك بارادته ثروة والديه وميراثه لأجل المسيح .

ورغم أننا لا نعرف بالتحديد متى وصل إيسيذروس إلى روسيا ، وإذا كان قد سيم راهباً أم لا ، ومن كان أب اعترافه لكننا نعرف أنه بدأ يسافر من بلد إلى أخرى حتى وصل إلى مدينة روستوف واستقر هناك ، حيث بنى له كوخاً صغيراً من الحطب ، ولم يكن هذا الكوخ يحميه من الحر ولا البرد لأنه كان بلا سقف ، فلم يكن يخفى إلا صلواته وجهاداته عن

أعين الناس ، وكان إيسيذروس يقضي وقته بحسب منهج البلهاء من أجل المسيح ، في الليل كان يصلي بحرارة بلا انقطاع لأجل الذين أساءوا إليه ولأجل الذين رآهم هالكين في خطاياهم ، واحياناً كان يخلد لنوم قصير ، أما نهاره فكان يقضيه في شوارع المدينة وأسواقها متصنعاً البله والجهالة ، واحياناً كان يريح جسده المتعب على كومة من القمامة أوالسماد .

وكان يُعلّم كل من يمكن أن يتعلم أو يتهذب ، ووبخ الأشرار وقاد الكثير من النفوس إلى طريق الخلاص ، وكثيراً ما سُمع يتنهد «أه يا إيسيذروس لابد أن تدخل ملكوت السموات بأحزان كثيرة» ، ولعظم جهاداته وأتعابه ، منحه الرب موهبة صنع العجائب والنبوة ليعلن مجده فيه .

حدث أن أحد تجار روستوف كان في رحلة بحرية ، وفي منتصف الرحلة ، حدثت عاصفة هوجاء مما جعل السفينة تصطدم بشاطئ رملي وتوقفت فجأة وبدأت تتحطم وصارت مهددة بالغرق ، وادرك كل من كان على متنها ذلك ، واصابهم اليأس

وبدأوا يستعدون للموت ، لكن فى يأسهم صنعوا مثل البحارة رفقاء يونان النبى ، وقرروا أن يلقوا قرعة كما لو كانت السفينة قد توقفت بسبب خطية واحد منهم ، فوقعت القرعة على تاجر روستوف ، عندئذ ألقوه فى الحال فى البحر الهائج .

وإذ وجد التاجر نفسه وسط الأمواج العاتية ، بدأ يستسلم للموت ، وفجأة ظهر له إيسيذروس ماشياً على المياه كما لو كانت أرض يابسة ، وأمسكه من يده وقال له «هل تعرفنى؟» وبالكاد استطاع الرجل الذى على وشك الغرق أن يدرك ما يحدث وقال له «يا خادم الله إيسيذروس .. اعنى..» .

وفجأة كما لو كان التاجر قد دُفع بيد غير مرئية ، وجد نفسه على متن السفينة ، ولما رآه البحارة رفقاؤه وسطهم فجأة ، دُهشوا ومجدوا الله .

لم يكن إيسيذروس يريد مديح من أحد ولا مجد باطل ، لذلك منع التاجر بشدة من أن يروى بالتفصيل ما حدث ، وبالطبع لم يسكت البحارة ولا الناس عن رواية الأعجوبة ،

وعندما طلب الناس من التاجر أن يروى تفاصيل المعجزة ، كان يجيب أن الله أنقذه بعمل خاص من نعمته .

وما إن تنيح إيسيذروس حتى سارع التاجر واخبر الجميع بتفاصيل المعجزة العجيبة ، فمجدت المدينة كلها الله العجيب فى قديسيه .

أما عن موهبة النبوة التى أُعطيت لإيسيذروس فتتضح من القصة التالية :

فى يوم حفل زفاف الأمير سابا أويلونسكى ، دخل إيسيذروس البيت الذى فيه العرس ، ومع أن الخدم حاولوا منعه من الدخول ، إلا أنه دخل رغماً عنهم ، وجرى وهو يحدث ضوضاء إلى صالة الاحتفال ، وكان ممسكاً باكليل من الأغصان والزهور البرية في يديه ، وذهب إلى العريس وسلمه الإكليل وقال له «ها هو تاج رئيس أساقفة لك» فتحير الأمير من الكلمات الغريبة ومن الهدية العجيبة ، كما تحير ضيوفه ، سرعان ما غادر المجنون المجاهد المكان ، وسُمع وهو يصيح مع

الأطفال فى الشارع .

لم تكن الهدية والكلمات النبوية عبثاً ، ففيما بعد فهم الجميع مغزاها ، إذ بعد ذلك حملت زوجة الأمير وولدت أبناً وهى فى طريقها إلى روستوف ، ولكن الولادة كانت صعبة جداً عليها فتنيحت ، ومن شدة تأثر الأمير لوفاة زوجته ، ترك العالم وترهب وسُمى باسم يوسف ، وصار فيما بعد رئيس أساقفة روستوف تحقيقاً لنبوة إيسيذروس الأبله .

تنيح إيسيذروس فى ١٤ مايو ١٤٧٤م بعد أن عرف يوم نياحته الذى كان يشتاق إليه بحرارة ، وقبل انتقاله ، لم يغادر كوخه لعدة أيام ، مصلياً بدموع حتى النفس الأخير ، وعند رقاده فاحت رائحة عطرة فى المدينة كلها ، فتعجب الجميع وبدأوا يبحثون عن مصدرها ، وسرعان ما اكتشفوا انه كلما اقتربوا من كوخ الأبله كلما ازدادت الرائحة الزكية ، فتجرأ واحد من الناس وتطلع داخل الكوخ ، فوجد الناسك مستلقياً على الأرض ويديه على كل شكل صليب على صدره ، فأعلن

للجميع نياحته ، ودُفن فى الكوخ فى نفس المكان الذى تنيح فيه .

حضر الجنازة البحار الذى أنقذه من الغرق ، وإذ تحرر من وعده بالصمت بدأ يروى للجميع تفاصيل إنقاذه العجيب ، وبنى أحباء إيسيذروس كنيسة خشبية بالقرب من قبره باسم كنيسة الصعود لأن نياحته كانت فى عشية عيد الصعود ، وفى عام ١٥٦٦م بُنيت كنيسة حجرية لا تزال حتى اليوم بدلاً من الخشبية ، وفيها توجد رفاته ، ونبعت منها معجزات شفاء عديدة للغاية .

بركة صلاته تكون معنا ، آمين .

لورنس من كالوجا

(عام ١٥١٥م)

LAWRENCE OF KALUGA

لا أحد يعرف كيف ومتى دخل لورنس فى درب الجهالة لأجل المسيح ، ولكننا نعرف انه عاش فى نهاية القرن الخامس عشر وبدايات القرن السادس عشر ، وكان يسير حافى القدمين فى الصيف والشتاء ، مرتدياً قميصاً طويلاً ومعطفاً من جلد الغنم ، وكان يشارك بهمة فى سد احتياجات مواطنى بلدته ، كما كان يشاركهم فى أحزانهم ، وبصلواته كثيراً ما أنقذهم من أخطار ومصائب ، واحياناً كان يقيم فى قصر الأمير ، لكن بصفة عامة كان يذهب إلى هناك متى شاء ، وأغلب أوقاته كان يقضيها فى كوخ فى غابة خارج المدينة ، وفى ذلك الموضع كان هناك تل مبنية على قمته كنيسة صغيرة باسم كنيسة ميلاد المسيح ، واعتاد لورنس أن يقضى ليله كله

فى الصلاة على عتبة هذه الكنيسة ، ورغم أن الخدمات الليتورچية كانت تُقام يومياً فيها ، إلا أن لورنس نادراً ما كان يتغيب عنها .

فى أرشيف مكتبة دير القديس لورنس (يقع هذا الدير على التل الذى كان المجاهد يقيم عنده) ، مكتوب أنه فى عام ١٥١٢م جاء التتار ليغزوا المدينة ، وخرج الأمير للقائهم بفرق قليلة ، وفي ذلك الوقت كان لورنس فى بيت الأمير ، وفجأة صرخ قائلاً: «اعطنى فأسي! الكلاب قد هجمت على الأمير سمعان! سوف أدافع عنه» وخرج الأبله سريعاً من البيت ، وفى ذاك الحين عينه كان الأمير قد تواجه مع أعدائه فى نهر زوك وكانوا يتقاتلون من القوارب النهرية ، فحوط الأعداء بالأمير وعزلوه عن جنوده ، وبغتة ظهر لورنس ملوحاً بفأسه وهو يصرخ «لا تخف» وفى الحال تغير جو المعركة وهزم الأمير الغزاة .

وعندما عاد الأمير من المعركة ، روى كيف أن فرقه كانت مهزومة تماماً وكيف انه كان فى خطر داهم ، عندما ظهر لورنس فجأة وبصلواته هُزِم العدو .

تنيح لورنس فى ١٠ أغسطس ودُفن فى كنيسة ميلاد المسيح ، ويُعتقد ان الامير سمعان بنى ديراً صغيراً بجوار الكنيسة التى كان يصلى فيها ، عرفاناً منه بصنيع لورنس معه ، ولا تزال رفات لورنس الأبله لأجل المسيح موضوعة هناك فى مقصورة باسمه .

بركة صلاته تكون معنا ، آمين .

باسيليوس المبارك

(عام ١٥٥٢م)

BASIL THE BLESSED

وُلد باسيليوس فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر أثناء حكم الأمير إيڤان ڤاسيليڤيش *Ivan Vasilievich* ، وكان والداه يعقوب وحنا متقدمين فى الأيام ، ولم يهبهما الله نسلاً فصليا إلى الله بحرارة ليمنحهما طفلاً ، وعندما استجاب لصلواتهما ، سارعا ليكرسا الطفل لخدمة الرب .

ظهرت نعمة خاصة من الله فى باسيليوس منذ أعوامه الأولى ، إذ كان دائم الصلاة والصوم ، وهكذا عندما بلغ السن الذى تلتهب فيه الشهوات بعنف ، كان قد ضبطها فعلاً فى نفسه بنعمة الله .

فى السادسة عشر من عمره ترك باسيليوس بيت أبيه وخرج

ليجاهد لأجل خلاص نفسه ، ليس في البرية الساكنة حيث الجمال والوحدة ، بل في مدينة موسكو بكل زحامها ، وعندما وصل إلى المدينة ، اتبع مثال رب المجد الذى لم يكن له أين يسند رأسه (لو٩:٥٨) وبنعمة ومعونة الروح القدس ، لم يضل عن طريقه ودعوته بسبب زحام المدينة ومباهجها ، بل حفظ قلبه في أورشليم السماوية .

دخل باسيليوس درب الجهالة لأجل الله ، فلم يكن يرتدى إلا قميصاً طويلاً (جلابية) ، وكان يحتمل الجوع والعوز وكل فقر ، وفي الشتاء كان يحتمل قسوة برد موسكو وثلجها بلا تذمر ، مردداً كلمات شهداء سبسطية الأربعين : «الشتاء قارص ، لكن الفردوس حلو» وكان يصلى على الدوام ويتأمل في خالقه .

وإذ قيل «منْ يتكلم كثيراً لا ينجو من الخطية» لذلك التزم باسيليوس طوال حياته في العالم بالصمت التام كما لو كان يعيش في البرية ، فرغم انه كان محاطاً بالناس ، إلا كان في البرية ، وكان يقضى أيامه وسط المتسولين والشحاذين والعرج

أما الليل فكان يقضيه فى الصلاة فى مداخل كنائس موسكو ، وكثيراً ما كان يزور سجن السكراء والمدمنين ، وهذه كانت تهدف إلى تهذيب مدمنى الخمر وتأديبهم ، وشوهد كثيراً وهو يصلى فى ذاك المكان .

قبل بلوغ إيڤان الرهيب السن الذى يتسلم فيه الحكم ، ساد الطغيان فى المجتمع ، وكان القوى يقهر الضعيف بلا رحمة ، فكان باسيليوس توبيخاً حياً للأشرار وتعزية للمتألمين ، ولانه كان ابناً حقيقياً للكنيسة المقدسة ، لذلك ذرف دموعاً مريرة من أجل معاصريه وبدموعه قادهم إلى التوبة .

فى عام ١٥٢١م ، قبل غزو التتار بوقت قصير ، انحنى باسيليوس ومجموعة من الأتقياء أمام كاتدرائية الكرملين وصلى بدموع وحرارة لأجل خلاص الشعب من الخطر القادم ، وبالفعل بصلواته خلصت المدينة من هؤلاء الغزاة ، إذ بينما هم يقتربون منها رأوا جيشاً عظيماً فى حقولها ، فولوا مدبرين سريعاً خارج روسيا .

فى ٢٣ يونيو عام ١٥٤٧م ، ذهب باسيليوس المبارك إلى دير الصليب ووقف يتطلع إلى كنيسة الدير مصلياً وباكياً ، وكل من كان يمر به ، كان ينظر إليه باستغراب ، ورغم انهم لم يعرفوا سبب ذلك لكنهم كانوا يعرفون انه لا يصنع أو يقول أي شئ بدون سبب ، وفعلاً كانت هذه نبوة عن نيران رهيبة اندلعت فى صباح اليوم التالى ، وكانت بدايتها من هذه الكنيسة ثم التهمت المدينة .

رغم ان باسيليوس كان يحاول أن يخفى حياة القداسة والفضيلة التى له بتصنع البله والحماقة وإدعاء الجنون ، إلا انه لم يستطع ، بل أن رائحة حياته النقية وصبره العظيم بلغا مسامع القيصر إيڤان والمطران مكاريوس ، فدُهش كل منهما ومجدا الله الذى اعطاهم مثل هذا القديس فى زمانهما ، وقد أراد الله أن يمجد قديسه أمام القيصر لكى يتهذب القيصر ويتعلم .

حدث أن دعى القيصر باسيليوس إلى القيصر ، وعندما قدموا له مشروباً ، سكبه ثلاث مرات من النافذة ، فأغضب

هذا التصرف القيصر ، لكن باسيليوس قال له: «اطفأ نيران غضبك واعلم أنني بسكبي هذا الشراب ، أطفأت النيران التي تلتهم مدينة نوفجورود كلها الآن» .

وبهذه الكلمات غادر القصر مسرعاً ، ورغم ان القيصر كان يعرف قداسته ، إلا انه شك فيما قاله عن نيران نوفجورود ، فسجل الساعة واليوم الذي زاره فيه باسيليوس ، وارسل أحد رجاله إلي مدينة نوفجورود ليتحقق من الأمر ، فعلم مبعوثه من أهل نوفجورود ان حريقاً قد اندلع فعلاً ، وفي أثناء ه رأوا رجلاً عارياً ممسكاً بدلو أطفئ النيران ، وعندما سأل المبعوث عن اليوم والساعة ، وجد أن ذلك كان في نفس الوقت الذي سكب فيه باسيليوس المشروب من النافذة ، فعاد وابلغ القيصر الذي ازداد احترامه للابله وبدأ يدعوه كثيراً إلي القصر .

بعد مرور فترة من الوقت ، حضر بعض مواطني نوفجورود إلي موسكو ، ورأوا باسيليوس المبارك وعرفوا انه هو عينه الذي أطفأ نيران مدينتهم ، فأحاطوه بينما كان يهرب منهم ، وبدأوا يخبرون الناس عما حدث ممجدين الله .

وبأفعاله الغريبة ، علّم باسيليوس ناظريه أن يعيشوا في حياة التقوى ، وأرشدهم إلى طريق الحق والخلاص ، فمثلاً رأى الكثير من سكان موسكو انه في سيره في الشوارع كان يقبل بدموع أركان حوائط بعض البيوت ، بينما عند بيوت أخرى كان يبتسم ويقذفها بالحجارة ، وعندما سُؤل عن مغزى ذلك ، كانت اجابته عن إلقائه حجارة على بعض البيوت :

«إنني أطرد الشياطين التى ليس لها مكان فى هذا البيت المقدس ، كي أمنعهم ايضاً من أن يجدوا أى ملجأ ولا حتى خارج البيت» .

أما عن تقبيله بدموع بعض حوائط البيوت الأخرى ، فأجاب انه يفعل ذلك لانه:

«يحدث فيها أمور لا تليق بالمسيحيين... لقد اخبرنا المخلص أن نصلى بلا انقطاع لئلا ندخل فى تجربة ، وألا نستمتع بالأعمال الباطلة... هذا البيت يطرد حراسه ، أى الملائكة المعينين ليحرسونا منذ المعمودية المقدسة ، لأنهم (أى

الملائكة) لا يستطيعون أن يحتملوا السلوك الغير لائق ، لذلك عندما لا يجدون لهم مكاناً فى هذه البيوت ، يجلسون خارجها حزانى ، فأحييهم بدموع ، متوسلاً إليهم أن يتشفعوا لأجل خلاص النفوس التى عينهم الرب لها » .

تنيح المبارك فى عام ١٥٥٢م ، واكمل جهاده الطويل والشاق ، وقبل نياحته بقليل سقط مريضاً ورقد ، فانتشرت سريعاً أخبار مرضه فى موسكو كلها وبلغت مسامع القيصر الذى أسرع مع زوجته وولديه لزيارة رجل الله وطلبوا صلواته ، وتنبأ باسيليوس لأصغر الابنين قائلاً: «كل ميراث أجدادك سيكون لك وستكون وريث العرش» وهذا ما حدث فعلاً فيما بعد .

ثم ظهر فرح غير عادى على وجه القديس ، لانه كان يرى الملائكة قادمة لتأخذ روحه ، وبسلام أسلم روحه الطاهرة فى يد الله ، وامتلأت المدينة كلها من رائحة رفاته المقدسة .

تجمعت حشود ضخمة من الناس ليحضروا جنازة القديس ،

وكان منظراً مؤثراً للغاية ، فقد حمل القيصر بنفسه ومعه بعض الأمراء جسد المبارك إلى الكنيسة على أكتافهم ، وهناك كان المطران والاكليروس يسبحون ويرغمون المزامير ، وكان الناس يطلبون بدموع أنَ يصلى باسيليوس لأجلهم وشُفى كثيرون بمجرد لمس جثمانه .

تنيح باسيليوس فى الثانى من أغسطس عام ١٥٥٢م عن ٨٨ سنة ، بعد أن جاهد فى شوارع موسكو لمدة ٧٢ سنة ، ووُضعت رفاته فى مقابر كنيسة الثالوث القدوس ، وبنى القيصر إيڤان كاتدرائية عند قبره ، وسماها كنيسة حماية الثيؤطوكوس .

لم تنته ذكرى المبارك بنياحته ، بل أن شهرته ازدات جداً بسبب المعجزات التى كان الله يجريها من جسده .

بركة صلاته تكون معنا ، آمين .

نيقولاس سالوس

(عام ١٥٧٦م)

NICHOLAS SALOS

لابد أن سماع شعب بسكوف *Pskov* أن إيڤان الرهيب كان فى طريقه إليهم بعد مجزرة نوفجورود ، كان كافياً لجلب الرعب والفزع التام عليهم .

كان ذلك يوم ٢٠ فبراير عام ١٥٧٠م ، فى الأحد الثانى من الصوم الكبير ، وكان إيڤان الرهيب معسكراً بجيشه على بعد بضعة أميال من بسكوف ، ويقول المؤرخون أنه أتى بغضب عظيم كأسد زائر يريد أن يمزق الناس الأبرياء إلى أشلاء ، فهرب الكثير من مواطنى بسكوف إلى الغابات ، أما المواطنون الأكثر شجاعة فقد صمموا على أن يثبتوا فى مدينتهم ويتحصنوا ويقاتلون ، ولكن الأمير يورى *Yury* حاكم المدينة ، وهو شخص محب للمسيح ، استطاع أن يقنع شعبه بصعوبة أن

يسلموا أنفسهم لإرادة الله ويستقبلوا القيصر بالخضوع ، عسى أن تتغير نواياه ولا يقتلهم .

توقعاً للخطر القادم ، لم تغمض لأحد عين فى هذه الليلة ، فجميع السكان قضوا ليلتهم فى الصلاة ، وعند منتصف الليل دقت الأجراس لصلاة باكر الأحد ، وكان القيصر فى ذلك الوقت فى معسكره متلذذاً بتخيل شعور الشعب وهم فى طريقهم إلى الكنيسة لأخر مرة ليطلبوا من العلى أن يخلصهم من غضب القيصر .

وفى الصباح (٢٠ فبراير) امتلئت شواع بسكوف بالشعب الفزع ، وكان الجميع يرتدون ثياب العيد ، واعدت كل عائلة مائدة عليها خبزاً وملحاً ترحيباً بالقيصر ، وكان الجميع يشعرون كأنه محكوم عليهم بالموت ، ووسط هذا الجمع الكبير والفزع ، كان هناك شخص واحد فقط يرتدى قميص طويل ومتمنطق بحبل يجول فى الشوارع عارى القدمين ، وكان يتنقل بين المائدة والأخرى مشجعاً مواطنيه..... كان ذاك هو الأبله نيقولاس سالوس .

ما إن تراءى القيصر عن بعد ، حتى دقت الأجراس دقة الأعياد من كنيسة الثالوث القدوس ومن كل كنائس المدينة ، وسجد الواقفون على البوابات أمام القيصر ، وأخذ الأمير خبزاً وملحاً من سكرتير المدينة وانحنى أمام القيصر وقدمهم له ، لكن الرهيب نظر إليه بغضب ودفع الطبق بعيداً فسقط وتناثر الملح على الثلج .

فتملك الرعب على قلوب الجميع ، بينما كان القيصر يدخل من بوابات المدينة ، وسجد أمامه المواطنون مقدمين له الخبز والملح .

وفجأة ، خرج من وسط الجمع نيقولاس وهو يعدو على حصان أطفال خشبى وقال لإيڤان «إيڤانيشكا ، إيڤانيشكا ، كُل بعض الخبز والملح بدلاً من الدم البشرى» فاغتاظ القيصر وأمر جنوده أن يمسكوه ، لكن الله ستر خادمه الذى اختفى وسطِ الجمع ، وفى الوقت عينه هبت فجأة عاصفة قوية أرسلت الكثير من الثلج والقشعريرة على السكان الفزعين ، وظهر خط من السحب الكثيفة على خط الأفق ، وكانت تبدو كأنها

تتسابق نحو المدينة كما لو كانت تريد أن تشارك القيصر في نواياه الرهيبة .

اقترب القيصر إيڤان من الكاتدرائية ، واستقبله عند المدخل الأب كورنيلي *Kornily* رئيس دير مغارات بسكوف واكليروس المدينة... وبينما كان القيصر يغادر الكاتدرائية ، اقترب منه نيقولاس وأصر على دعوته إلى قلايته تحت برج الكاتدرائية فوافق القيصر ، وفي قلاية نيقولاس الضيقة ، وُضعت قطعة كبيرة من اللحم النيئ ، ، وقال نيقولاس للقيصر بانحناءة «كُل إيڤانيشكا ، كُل» فأجاب القيصر باستغراب «أنا مسيحي ولا أكل لحم في الصوم» .

فرد عليه نيقولاس قائلاً: «ولكنك تفعل ما هو أسوأ ، أنت تتغذى على جسد ودم بشرى ، ولا تنس الصوم فقط بل والله ايضاً» .

فهاج القيصر وخرج في الحال من القلاية والأبله يتبعه ، وأمر إيڤان بهدم أجراس الكاتدرائية ، ولكن نيقولاس قال له

«لا تجروء على أن تمسنا أيها الجوال! ارحل عنا سريعاً ، وإذا تأخرت ، لن تجد شيئاً تهرب عليه» .

فلم يبال القيصر بكلام الأبله هذا ، بل أمر جنوده بتنفيذ كلامه ، فقال له نيقولاس «إذا جروء محاربوك على أن يمسوا شعرة واحدة من أصغر طفل فى هذه المدينة ، فسوف تظللك سحابة من النار ولن تنجو من الموت بالبرق» .

وعندئذ كانت السحب المبرقة قد وصلت إلى المدينة وبدأت ترسل رعدها وبرقها فى ألسنة نارية ، فنظر إليها القيصر بعصبية ، وبدأ الخوف يتسلل إلى قلبه ، وفجأة اقترب منه واحد من خدمه ، وهو مرتعد من الخوف ، واخبره أن جواده قد سقط للتو ميتاً ، فتذكر كلمات الأبله «إذا تأخرت ، لن تجد شيئاً تهرب عليه» وتملك الرعب على قلبه .

بدأ القيصر يرتعد والتفت إلى الكهنة وطلب صلواتهم لأجل سلامته وركب خلف واحد من جنوده وهرب من المدينة مسرعاً.

فيما عدا هذه القصة لا نعرف إلا القليل عن حياة نيقولاس

سالوس... وُلد في مدينة بسكوف ، وتنيح في ٢٨فبراير عام ١٥٧٦م ، أما مكانته الكبيرة في الكنيسة الروسية فتتضح من أنه دُفن تحت الكاتدرائية في بسكوف .

بركة صلاته تكون معنا ، آمين .

يوحنا الرحيم

(عام ١٥٨١م)

JOHN VLASATY THE MERCIFULL

في روستوف ، في كنيسة الشهيد ڤالاسي ، توجد رفات يوحنا ڤالاساتي ، وفي مزاره يوجد صليب فضي وكتاب مزامير لاتيني وأبصلمودية مكتوب عليها:

«في عام ١٥٨١م ، في اليوم الثالث من سبتمبر ، في حكم القيصر العظيم والأمبراطور الأكبر يوأن ڤاسيليڤيش *Ioann Vaslseviech*، تنيح يوحنا ڤالاساتي ودُفن في كنيسة الشهيد ڤالاسي... وكان كل مريض يأتي إلي مزاره بايمان يجد شفاء ، وبسبب معجزات الشفاء الكثيرة ، سماه الناس الرحيم» .

ورغم ان أحداً لايعرف على وجه الدقة من كان يوحنا هذا ، إلا إننا نعلم انه وصل إلى مدينة روستوف أثناء حكم

الامبراطور إيڤان الملقب بـ «الرهيب» ، ولانه كان يجيد قراءة المزامير والتسابيح باللاتينية ، لذلك اعتقد البعض انه كان من الغرب ، لكنه بدأ جهاده في روستوف وعاش هناك كل سني حياته في عوز تام وآلام وضيقات من الناس الأردياء ، وفي تحمل لقسوة الطبيعة والجو ، ومن المعروف ايضاً ان أب اعترافه ومرشده كان الأب بطرس أحد كهنة روستوف ، وذُكر عن يوحنا ايضاً انه كان صديقاً لأرملة متقدمة في الأيام ، وعند نياحته ، دُفن بحسب طلبه بجوار الأب بطرس وهذه الأرملة ، خلف كنيسة الشهيد ڤالاسي ، وحدث عند جنازته عاصفة عاتية ورعد وبرق كثير... وما إن مضى وقت قصير على نياحته ، حتى بدأت المعجزات الكثيرة وأعمال الشفاء تنبع من رفاته ، ومن بين الذين نالوا الشفاء ببركته ، كان كيرلس مطران روستوف ، وهذا كان طاعناً في السن ومصاباً بشلل في يديه وقدميه ، وعندما حُمل إلى مزار يوحنا وصلى هناك بحرارة ، نال شفاء وعاد وهو يسير على قدميه بدون مساعدة .

بركة صلاته تكون معنا ، آمين

إيڤان ذو القبعة الكبيرة

(عام ١٥٨٩م)

IVAN "BIG CAP"

ترك إيڤان أباه وأمه وكل أقاربه وكل مسرات العالم وخرج ليجاهد لأجل خلاصه... فى البداية جاهد ليستعبد جسده ويقمعه ، فاشتغل فى أصعب الأعمال فى غلايات الملح بدون أجر ، وكان أصدقاؤه الدائمون فى عمله هذا هم الصوم القاسى ، الصلاة الحارة ، والاتضاع التام ، وكانوا غذاء قوته وسنده .

وإذ اشتاق للجهادات الأعظم ، ذهب إلى مدينة روستوف حيث بدأ جهاداً نسكياً جديداً وهو جهاد الجهالة وتصنع البله والجنون لأجل الله ، وهنا يمثل إيڤان نقطة مميزة فى تاريخ نساك الجهالة ، إذ كان أول جاهل روسى ـ وربما الوحيد ـ الذى ارتدى الحديد والسلاسل على جسده ، بما فى ذلك قبعة حديدية كبيرة ثقيلة على رأسه .

بعد ذلك ذهب إلى موسكو حيث كان يسير حافى القدمين وجسده شبه عارى حتى فى الشتاء القارص ، وإذ كان ابناً حقيقياً للكنيسة ، لم يعمل فقط لأجل خلاص نفسه هو فقط ، بل تعب بالمثل لأجل خلاص أقربائه وجيرانه ، فأعطاه الله موهبة النبوة وبها قاد الكثيرين إلى التوبة .

قبل نياحته بقليل علم القديس بذلك ، فذهب إلى كنيسة الثالوث المحيى ، وتحدث إلى القمص ديمترى وطلب منه موضع «حيث يمكننى أن اضطجع» وإذ فهم الكاهن طلبه ، وعده أن يدفنه .

عندما خرج من الكنيسة ذهب إلى جسر على نهر موسكو وهناك التقى بمشلول يُدعى چورچ ، فسأله إيڤان عن سبب مرضه وعما إذا كان مشلولاً هكذا منذ زمان بعيد ، فأجابه چورچ ان قدمه قد جُرحت منذ عامين ومنذ ذاك الحين وهو لا يستطيع تحريكها ، فداس الأبله على القدم العاجزة وفى الحال صارت سليمة وشُفيت ، وقال للرجل «يا رجل الله ، لا تخفى هذا الشفاء الذى وهبك الله إياه من خلالى ، اخبر القمص

والخدام فى كنيسة حماية الثيؤطوكوس وباسيليوس المبارك بكل ما حدث»... ثم ذهب إيڤان إلى الحمام العام ، وهناك ولأول مرة ، خلع عنه سلاسل الحديد ، وسكب ماء على جسده ثلاث مرات ، وكان يفعل ذلك استعداداً لتكفينه ودفنه .، ثم استلقى على أحد المقاعد الطويلة وقال للحاضرين «اغفروا لى يا اخوة عندما أموت احملونى إلى كنيسة حماية الثيؤطوكوس ، إلى قبر باسيليوس المبارك ، كى يدفن القمص والاخوة جسدى» .

وبهذه الكلمات انتقل بسلام إلى الرب ، وكان ذلك فى الساعة الثالثة من الثالث من يوليو عام ١٥٨٩م ، وسرعان ما نُفذت وصية الأبله ، وحمل القمص وباقى اكليروس الكاتدرائية الجسد إلى الكنيسة ووضعوه فى صندوق ، وحضر جميع غفير من الشعب ، ومن ضمن الحاضرين كان النبيل إليعازر ، وكانت إحدى عينيه مريضة ، فلمس الصندوق الموضوع فيه جسد المجاهد ، وفى الحال شفيت عينيه ببركة إيڤان المجنون لأجل المسيح .

بركة صلاته تكون معنا ، آمين .

بروكوبى من ڤياتكا

(عام ١٦٢٧م)

PROKOPY OF VYATKA

فى عــام ١٥٧٨م ، فى مـدينة ڤـيـاتكا ، أنعم الله على السيدة إيرينى براحمه وأزال عقمها ومنحها ابناً من زوجها مكسيموس ، وسمياه بروكوبى .

عندما كان له من العمر ١٢ عاماً ، خرج بروكوبى للحقول ليعمل ، وفى طريقه هبت عاصفة عاتية ، ومن كثرة رعدها وبرقها ، سقطت إحدى ألسنة البرق بالقرب من الصبى وجرحته وتركته فاقد الوعى ، واستمرت اصابته بعض الوقت ، فأخذه والداه إلى الأب تريفون ، أحد رؤساء الأديرة المشهورين فى ذاك الحين ، فصلى عليه وشُفى الصبى ، وكان لهذا الشفاء أعمق الأثر فى نفس بروكوبى الصغير .

بعد وقت ليس بالطويل من شفائه ، ترك بروكوبى بيت

والديه ليخدم فى كنيسة القديسة كاترين ، وعاش هناك لعدة سنوات مع الكاهن إيلاريون ، وعندما بلغ العشرين من عمره ، بدأ والداه يخططان لزواجه .

فرحل بروكوبى سراً إلى ڤياتكا حيث بدأ جهاده فى الجهالة لأجل المسيح ، وفى ڤياتكا ، كان الناس يعتبرون أن بروكوبى ما هو إلا مجنون أصم وأبكم ، وعاش محتملاً العرى والجوع حتى فى الشتاء القارص بجانب الغضب من الأشرار ، وفى هذه الأمور كلها كان ينمو فى فضيلة الصبر والاحتمال ، وكان المبارك يتنقل من كنيسة إلى أخرى ، ولم يسمعه أحد قط يتحدث ، بل كان يسير فى الشوارع والأسواق فى صمت تام .

وبهذا التجرد والاحتمال ، استعبد بروكوبى جسده فمجده الرب بنعمة النبوة ، وحدث انه قبل إندلاع حريق كبير ، أن بروكوبى كان يذهب يومياً ولعدة أيام إلى منارة الكنيسة ويدق جرس إنذار الحريق ، وما هى إلا أيام حتى اندلع الحريق !!

عندما رأى الحاكم وزوجته الحياة الفاضلة التى لهذا الأبله

الصامت ، أخذاه إلى بيتهما وألبساه ثياباً جديدة وأخذاه إلى الكنيسة معهما ، فخضع المبارك لعطفهما كي بسبب محبتهما الخالصة ينالا جعالتهما من الله ، ولكنه سرعان ما عاد يجرى فى الشوارع وثيابه ممزقة واتسخت جداً من القاذورات ورماد الحمامات والمطابخ والأسواق .

وكثيراً ما كان يُعرض عليه ثياب وأحذية ونقود وخبز ، ولكنه نادراً ما كان يقبل أياً منها ، وإن فعل كان يعطيها للفقراء .

كان بروكوبى يحب علىَ وجه الخصوص أن يذهب إلى كنيسة الصعود ، وفى هذه البيعة كان يعترف للكاهن ويتقدم للأسرار الإلهية كل يوم أحد ، ومع أبيه الروحى القس يوحنا كان يتحدث كأى إنسان عادى تاركاً عنه إدعاء الجنون والخرس ، ولكن هذا لم يحدث إلا بعد أن وعده الأب يوحنا ألا يخبر أحداً عن ذلك إلا «بعد أن يرحل من الأرض» .

حدث أن القديس ذهب إلى بيت القس يوحنا أثناء العشاء

، وبينما هو جالس على المائدة ، امسك سكيناً وبدأ يلوح به على رأس ابن القس ، وكان هو الأخر قساً مثل أبيه ، ثم ألقى بروكوبى السكين بعيداً واحتضن القس الصغير وبدأ يبكى بمرارة ، وفجأة غادر البيت... وبعد عام ، قُتل هذا القس الصغير بسكين كما تنبأ بروكوبى .

تنيح الأبله القديس فى ٢١ ديسمبر عام ١٦٢٧م ودُفن فى دير الأب تريفون حيث لا تزال رفاته هناك ، وتحتفل الكنيسة الروسية بتذكاره فى يوم نياحته .

بركة صلاته تكون معنا ، آمين .

أنـدراوس مـن تـوتمـا

(عام ١٧٦٠م)

ANDREW OF TOTMA

وُلد اندراوس فى عـام ١٦٢٨م ، وعند نيـاحـة والديه ، انتقل إلى مدينة جاليش ، حيث وضع نفسه تحت إرشاد الأب استفانوس الذى فى دير القيامة ، فنصحه هذا المرشد أن ينتهج درب الجهالة لأجل المسيح واطاعه اندراوس ، بادئاً حياة جديدة كجاهل لأجل المسيح .

فى كل عـام ، كـان اندراوس يجـول ويزور جـمـيع الأديرة المجاورة ليصلى فى كنائسها ، حافى القدمين ، مكتسياً فقط بثيـاب قليلة ورثة حتى فى الشتـاء ، وعند نيـاحة مرشده ، انتقل المجاهد إلى توتما بالقرب من كنيسة قيامة المسيح ، حيث استمر فى جهاداتـه .

ولعظم جهاداته ونسكياته ومحبته لله ، مُنح موهبة الشفاء

، وحدث أنه فى احد فصول الشتاء كان يسير عارى القدمين إلى كنيسة خارج مدينة تومًا ، وفى الطريق إليها التقى برجل مريض فى عينيه ، وعندما عرف هذا الرجل اندراوس ، تَوسل إليه أن يشفى عينيه ، فما كان منه إلا أن استدار وجرى بعيداً وإذ كان إيمان هذا الرجل عظيماً ، غسل عينيه بالجليد الذى كان اندراوس واقفاً عليه ، وفى الحال شُفيت عينيه .

شعر أندراوس أن نهايته تقترب ، فأرسل إلى كاهن كنيسة القيامة الذى سمع اعترافه وناوله من الأسرار الإلهية ، وصلى اندراوس لبعض الوقت ثم قال للكاهن «لقد حان وقت إنفصال النفس عن الجسد» وتنيح بسلام ودفنه القس يوحنا تحت برج كنيسة القيامة بحسب وصيته... وهكذا عاش اندراوس متصنعاً الجهالة والصمت والصمم لمدة عشر سنوات وتنيح فى عامه الخامس والثلاثين فى ١٠ أكتوبر عام ١٦٧٣م .

بركة صلاته تكون معنا ، آمين .

كسانيا من بطرسبرج

(عام ١٧٩٦م)

XENIA OF PETERSBURG

التسجيل الوحيد عن كسانيا هو العبارة المكتوبة على قبرها :

«بسم الآب والابن والروح القدس ، هنا يرقد جسد خادمة الله كسانيا جريجوريفنا زوجة الكولونيل أندرى ثيؤدوروفيش بتروف *Andrei Theodorovich Petrov* ... ترملت وهى فى السادسة والعشرين من عمرها ، وعاشت سائحة لمدة ٢٥ عاماً فاجمالى سنى حياتها هو ٧١ سنة ، وكانت تُعرف باسم أندرى ثيؤدوروفيش ، فليصلى كل من يعرفنى لأجل نفسى كى تخلص آمين» .

فى سنى شبابها المبكر ، كانت كسانيا تعيش حياة عادية

مرفهة دون أن تصنع أى عمل يستحق التسجيل أو المديح ، ويبدو أنها كانت سعيدة فى زواجها ، ومهتمة تماماً بما لرجلها ، ولكن فجأة ، رغم انه كان صغير السن وبصحة جيدة ، تنيح فى إحدى الحفلات .

ترك هذا النياح غير المتوقع أثراً كبيراً على كسانيا وعلى فكرها ، فلم تكن قد تعدت السادسة والعشرين ، بدون أبناء ، وزوجها الذى كانت تخصص له كل حياتها ، تنيح فجأة دون أن ينال نعمة الأسرار المقدسة ، فنظرت الأرملة الحزينة إلى كل ممتلكاتها وإلى عالمها الفارغ الصغير ، وبدأت فجأة تدرك فنائية العالم وضآلة كل الأفراح والكنوز الأرضية ، وادركت انه ليس هناك قيمة حقيقية دائمة إلا فى الكنوز السمائية ، وانه ليس هناك فرح حقيقى إلا فى المسيح يسوع .

ولدهشة وتعجب كل أصدقائها وأقاربها ، بدأت كسانيا تتصدق وتوزع كل ما تملك ، فاعطت أموالها وكل متعلقاتها الشخصية إلى الفقراء ، بل ومنزلها الذى كانت تسكنه اعطته هو ايضاً لاحدى صديقاتها .

اخيراً قرر أقاربها أنها قد فقدت صوابها تماماً ، وطلبوا من الأوصياء على ثروة وضياع زوجها أن يمنعوها من الاستمرار في توزيع ثروته على اعتبار أنها قد اصيبت بلوثة عقلية لتأثرها بنياح زوجها ، فاستدعى الأوصياء كسانيا وبعد اختبار طويل ودقيق لها قرروا أنها صحيحة العقل تماماً ولها كل الحق فى أن توزع ثروتها كما تشاء .

ادركت كسانيا انه لا يمكن أن يوجد فرح حقيقى على الأرض ، وان ممتلكات هذا العالم ما هى إلا عائق عن نوال الفرح الحقيقى ، وفجأة اختفت من بطرسبرج لمدة ثمانى أعوام ، ويُقال انها خلال هذه الأعوام كانت تعيش فى بيت يضم مجموعة من الناسكات ، تتعلم عن الصلاة والحياة الروحية من أحد الآباء ، وفى ذلك الوقت دُعيت إلى أعلى مراقى الكمال الروحى ، أى أن تكون جاهلة لأجل المسيح .

ثم عادت إلى بطرسبرج وهى ترتدى إحدى ثياب زوجها الرسمية ، ورفضت أن يدعوها أحد باسم كسانيا بل كانت تجيب فقط على من يدعوها باسم زوجها المتنيح أندرى

ثيـوذوروفـيش ، وكـانت توجـد فى أغلب الأوقـات فى حى ستوروتا *Storona* ، وهو أفقر أحياء بطرسبرج .

فى البداية ظن سكان حى ستوروتا الفقير أن هذه المرأة ذات الثياب الغريبة ، كانت مجرد متسولة مسكينة ، وكان الأشرار يضطهدونها ويستهزأون بها ويضحكون عليها ، ولكنها بوداعة عظيـمـة حفظت أمام عـينيـهـا صـورة المسـيح يسـوع المتـألم ، واتبعت كسـانيا مثاله فسامحت المسيئين إليها كتنفيذ عملى للصـلاة الأخيـرة للمسـيح «يا أبتـاه اغـفـر لهم لأنهم لا يعلمـون ماذا يفعلون» .

ومع مـرور الوقت بدأ الناس يدركـون أن كـسـانيـا ليـست مـجرد متـسـولة ، بل أعظم من ذلك ، فـبدأوا يدعـونهـا إلى منازلهم ويقـدمـون لهـا ثيـاب دافـئـة لتـحـتـمى بهـا من شـتـاء بطرسـبـرج القارص ، ولكنهـا لم تكن ابداً تقبل هذه الثـيـاب ، وكـانت فـقط تأخـذ قطعـة من النقـود الروسـيـة المصنوعـة من النحـاس والمرسوم عليـهـا صـورة فـارس يمـتطى جواداً وتسـمى «الملك على ظهر الحصان» .

وكانت توزع هذه القروش النحاسية على الفقراء ، وفى بعض الأحيان كنت توزعها بروح نبوة ، فمثلاً حدث ان قابلت احدى السيدات فى الطريق فقالت لها «خذى هذه الخمسة (قروش) ، ها هو الملك على ظهر الحصان ، سوف تنطفئ» فأخذت المرأة القطعة النحاسية وذهبت فى طريقها متفكرة فى معنى كلام كسانيا ، وما إن دخلت الشارع الذى كانت تسكن فيه حتى رأت منزلها وقد اندلعت فيه النيران ، فجرت نحوه ووصلت تماماً فى الوقت الذى كانت النيران فيه تنطفئ ، فادركت ان المباركة كانت تتنبأ عن ذلك بكلماتها الغريبة .

لقد منحها الله نعمة النبوة التى بها شهدت لمجده وساعدت الكثيرين من الأتقياء ، ومن أمثلة ذلك انه فى بدايات نوفمبر عام ١٧٩٦م بدأت كسانيا تذهب لكل معارفها وتقرع النافذة حتى ينظر إليها أحدهم فتقول له: «وفروا الدقيق ، سوف نخبز فطيراً» فقلق الكثيرون من كلماتها وتحذيراتها ، وعرفوا أن شخصاً ما سوف يتنيح ، وبعد يومين تنيحت الامبراطورة كاترين .

لزمان طويل لم يعرف أحد اين كانت كسانيا تقضى لياليها ولم يكن الناس فقط يتسائلون عن ذلك بل وايضاً شرطة المدينة كانت تبحث عن حقيقة الأمر ، وبعد البحث اكتشفوا ان هذه العجوز المجاهدة كانت تقضى الليل فى حقل مكشوف تصلى وتضرب ميطانيات فى الاتجاهات الأربعة ، وكانت تفعل ذلك مهما كان الفصل أو الجو ، وكونها قد عاشت هكذا واحتملت برد بطرسبرج يعتبر معجزة ، واحياناً أخرى كانت تقضى الليل فى خدمة ، فمثلاً فى عام ١٧٩٤م نحو نهاية حياة كسانيا كانت هناك كنيسة جديدة تُبنى ، وبدأ العمال يلاحظون أنه أثناء الليل يأتى شخص ما وينقل كميات من الطوب إلى أعلى حيث يحتاجونه ، فدهشوا وعزموا على أن يكتشفوا من هو هذا العامل المجتهد الذى لا يكل ، وكانت المفاجأة عندما اكتشفوا أنها كسانيا !!

اخيراً حان الوقت الذى لم تعد توجد فيه كسانيا فى الشوارع أو فى الحقل ، إذ دعا الله خادمته لتستريح من أتعابها وجهاداتها وقبلها إليه....

ويقول كتاب الخدمات الليتورجية فى الكنيسة الروسية فى مديحه للجُهال لأجل المسيح عن كسانيا:

«أيتها القديسة كسانيا
كيف لا نتعجب منك
وكيف لا نمدح حياتك الملائكية ونقاوة أفكارك
واتضاعك ووداعتك الهادئة ومحبتك اللانهائية!!
لقد تزينتى بكل الفضائل أيتها المباركة لذلك
ينتظرك الفرح غير الفانى الذى لملكوت السموات» .

بركة صلاتها تكون معنا ، آمين .

تيرنس صانع العجائب

(عام ١٨٨٦م)

TERENCE THE WONDERWORKER

كان تيرنس أحد الأمثلة العظيمة على الصبر فى احتمال الآلام ، وقد ترك لنا الأب قسطنطين كاهن كنيسة القرية التى كان تيرنس يعيش فيها وصفاً لحياته .

كان تيرنس يرتدى ثياباً شتوية ثقيلة فى فصل الصيف ، وفى الشتاء لم يكن يرتدى إلا جلباباً قصيراً ، وحذاء فى قدم واحدة فقط .

بالطبع احتمل تيرنس فى درب الجهالة الكثير من الضرب والاهانات بسبب سلوكه الغريب ، بل أن جسده كان عبارة عن مجموعة من الجروح ، وكان يريد بسلوكه أن يحث ضمير الخطاة كى يتوبوا ، وقد ادرك الكثيرون مغزى أفعاله وتعلموا

منه وتابوا فعلاً ، بينما اغتاظ أخرون من مسلكه الغريب ومن قداسته .

وكثيراً ما كان يُحتجز في قسم الشرطة ، وبوداعة المسيح كان يحتمل بصبر شتى أنواع القسوة والألم إذ كان يُعامل كمتشرد ، بل أنه أرسل كثيراً إلى مصحات عقلية ، ولكنه كان يخرج منها سريعاً عندما يجد الأطباء انه سليم العقل تماماً ، وكان الأطفال يقذفونه بالحجارة وبالزجاجات ، وكان السائقون والتجار والخدم يسخرون منه ويضربونه بلا رحمة ، وكثيراً ما كانوا يقصون له شعر رأسه ، واحياناً كانوا يدهنون وجهه ويديه ورجليه وجسده كله بالطلاء أو بالطين ، وحدث أن خادماً في أحد الفنادق قذفه بصندوق ملئ بالزجاج المكسور ولكنه لم يتفوه بكلمة ولا حتى أنين رغم انه اصيب اصابات بالغة .

وبالطبع كان يشتهي هذه الألامات وأن يتألم على أيدي الأشرار لأن من يختار هذا الطريق ومن تكون هذه دعوته ، أي أن يعيش في جهالة لأجل المسيح ، لابد أن يحتمل هذه الأمور

لينال الاتضـاع ، بل ان المجـاهد فى هذا الطريق لابد أن يكون مثالاً عظيماً على الصبر والاحتمال ، وكان تيرنس يُظهر فعلاً فى كل أتعابه صبراً ومحبة وإتساع قلب ، وكان اهتمامه الأول هو أن يُرجع الخطاة إلى حظيرة الكنيسة .

لا نعرف إلا القليل عن حياة تيرنس الخاصة ، ولكننا نعرف انه كان بلا بيت أو مأوى بل كان يجول على الدوام ليس له موضع .

كان تيرنس مثالاً فى الصبر والتنبوء والعطف ، وذلك كله كان يتضح فى العديد من المواقف ، فكثيراً ما كان يقضى الليل فى بيت أحد رجال الشرطة الأتقياء ، وكان يعمل عند رجل الشرطة هذا طباخ مجنون كان يسيئ معاملة تيرنس ، وفى إحدى المرات دخل تيرنس المطبخ ونام تاركاً قدميه عارية وعندما دخل الطباخ اصطدم بقدمه ، فاغتاظ جداً لدرجة انه اشعل شمعة وأخذ يضحك وبدأ يحرق كعب تيرنس ، جزءً بعد أخر ، ولم يقل تيرنس شئ بل ظل ساكناً كما لو كان ميتاً حتى انهى الطباخ المجنون لعبته ، ثم نهض تيرنس كما لو كان لا

يشعر بأى ألم وأخذ يجرى فى الشوارع حافى القدمين كالعادة وبدأ الأطفال يضايقونه ، فلم يبال بحروقه وأخذ يطاردهم سريعاً ، رغم ان الدم كان يسيل بغزارة من قدمه المحروقة .

بعد ذلك بفترة قصيرة ، كان تيرنس طوال الأسبوع يزور بيت رجل الشرطة هذا يومياً وقت العشاء ويصرخ بصوت عالى «إلى الشر إلى الشر! انظروا إن الكهنة قادمون... انظروا لقد حفروا قبر شخص أخر... انظروا القضاة... حسناً ليس هناك ما يمكن عمله ، إذا قتلوك فأنت مرغم أن تموت...» .

واعتبر الجميع أن هذا الصراخ العديم المغزى ما هو إلا صورة معتادة لجنون تيرنس .

ولكن فى غضون شهر ادركوا انه لم يكن إلا نبوة ، إذ تورط رجل الشرطة هذا فى بعض أعمال إجرامية وبدد الكثير من النقود ، فحُكم عليه بمصير صعب ، وكان تيرنس كثيراً ما يقول للطباخ الذى حرقه «حسناً يا صديقى يالعزيز لا يمكنك أن تهرب من سيبيريا» وفعلاً أُرسل الطباخ إلى سيبيريا بسبب

تورطه فى هذه الجرائم ، ولكن تيرنس كان يعزيه ، بل انه رافقه لمسافة كبيرة خارج القرية وهو يبكى على مصيره كما حاول أن يعزى رجل الشرطة فى محنته .

فى الخريف الأخير من حياته ، كان تيرنس يحتمى لبعض الوقت فى كوخ أحد سكان القرية ، ولكن بعض من الأشرار أصدقاء صاحب هذا الكوخ ، أخذوا جلباب تيرنس وألبسوه جوالاً من الحصير بدلاً منه بعد أن صنعوا فيه فتحات للرأس واليدين ، فارتدى القديس هذا الجوال الثقيل فى كل مكان مما جعله موضع سخرية الجميع .

إذا كانت حياة تيرنس مملوءة بالعجب والغرابة ، فان الأعجب هو نياحته ، ففى إحدى ليالى أواخر الخريف ، بينما كان راقداً على كومة من القش فى الكوخ ، أمسكت النيران فى جواله الذى كان يرتديه ، فخرج من الكوخ والنار تكسوه من كل ناحية ، وسقط على كومة من القش ، ورأى الناس النيران فدقوا ناقوس الخطر وتجمهر الجميع ، ولدهشتهم وجدوا أن الجوال الذى كان تيرنس يرتديه قد احترق تماماً بينما القش

الذى سقط فوقه لم تمسه النار!

أخذ الناس تيرنس إلى محطة الحريق ، وكان جسده كله قد احترق ، فكان منظراً صعباً للغاية ، ودهن بعض الأتقياء جسده بزيت ، وبعد قليل بدأت حروقه تشفى ، ولكن حدثت له ضيقة أخرى ، إذ اصيب بسعال خطير ، وكل مرة كان يسعل فيها كانت تتفتح جروحه فى أماكن عديدة بسبب اهتزاز جسمه ، وساءت حالته جداً ، وكان الدم يسيل من كل مكان فى جسمه وكان يمكن للناظر إليه أن يرى عظمه بدلاً من جلده من شدة جراحاته ، ولم يكن يستطيع أن يجلس ، بل كان يقف على قدميه وحتى ذلك كان بصعوبة شديدة ، واستمر هذا الألم لأسبوع كامل .

واندهش الجميع ليس لانه عاش طويلاً هكذا بالرغم من جراحاته الخطيرة ، لكن من احتماله لكل هذه الألامات بصبر كامل ، فلم يشتكى ابداً ولم يظهر ضيقاً ، بل كان يمجد الله فى ألامه ، وصار وجهه مشرقاً كوجه ملاك ، بدون أدنى ظل من القلق أو الحزن أو الارتباك .

فى ذلك الحين تغيرت صورة الأبله المجنون فى عيون الجميع وكان يحاول بشتى الطرق أن يؤكد لصاحب الكوخ أنه برئ ما حدث له (أى لتيرنس) وليس له أى تدخل فيه ، وكان يقول أن الله ارسل إليه هذه النهاية بسبب حياته الشريرة ، وانه يستوجب الحرق بل والشنق والرمى بالرصاص ثم الرمى بعد ذلك فى الوحل مثل كلب ، بدون جنازة مسيحية... وكان يريد أن يقول أكثر من ذلك إلا أن حالته الصحية وسعاله وتمزق جراحاته جعله يكف عن الكلام .

بالرغم من كل هذه الآلامات ، فى وعى تام وبمشاعر عميقة ، اعترف تيرنس وتناول من الأسرار الإلهية ومُسح بزيت مسحة المرضى ، وبينما هو واقف بجوار الحائط تنيح بسلام .

بركة صلاته تكون معنا ، آمين .

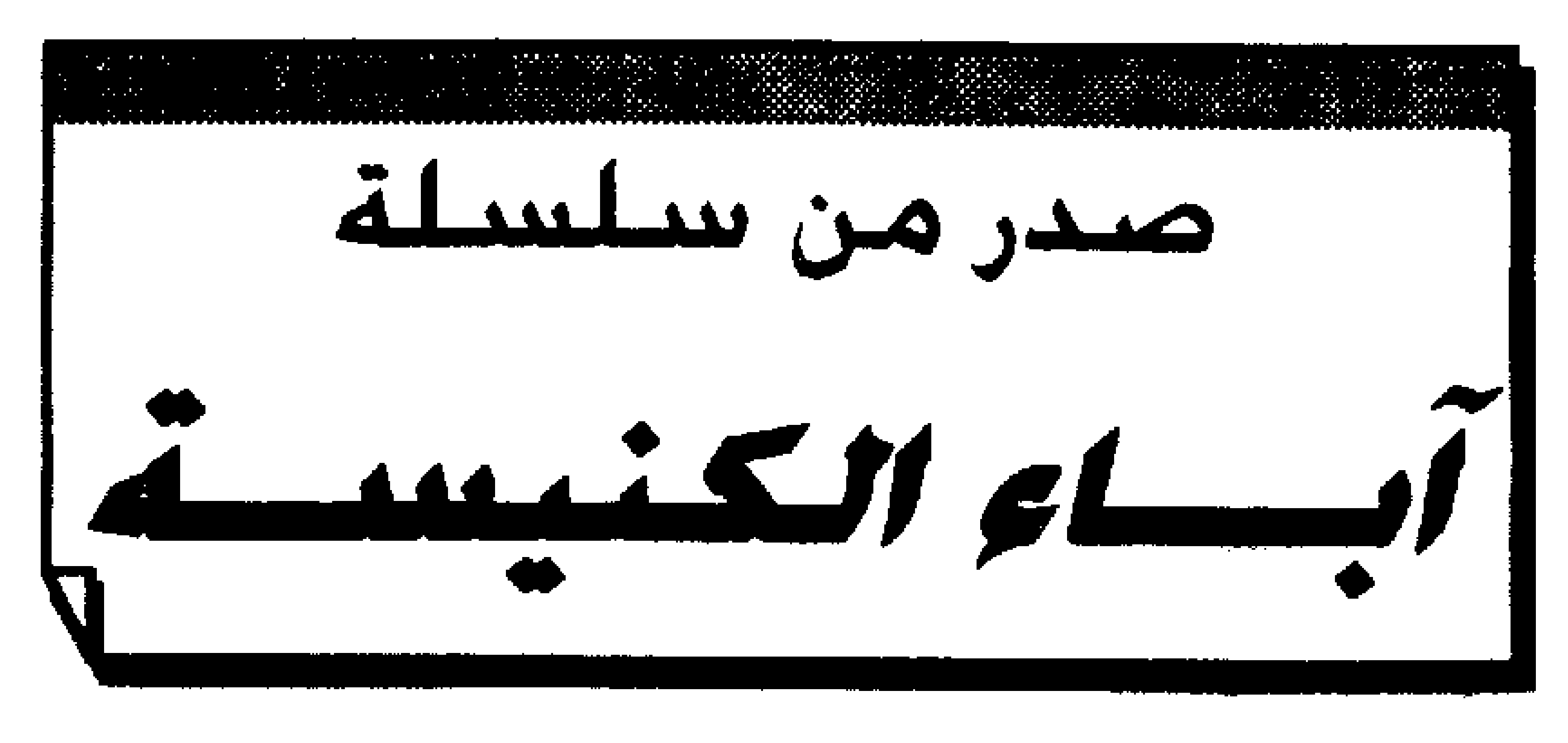
المصادر

تُرجمت هذه السير إلى اللغة العربية نقلاً عن كتاب :

GOD'S FOOLS

translated from Russian by Bishop Lazar Puhalo and Archimandrite Varlaam Novakshonoff .

الفهرس



صدر من سلسلة
آبـــاء الكنيســة

أخثوس ΙΧΘΥΣ



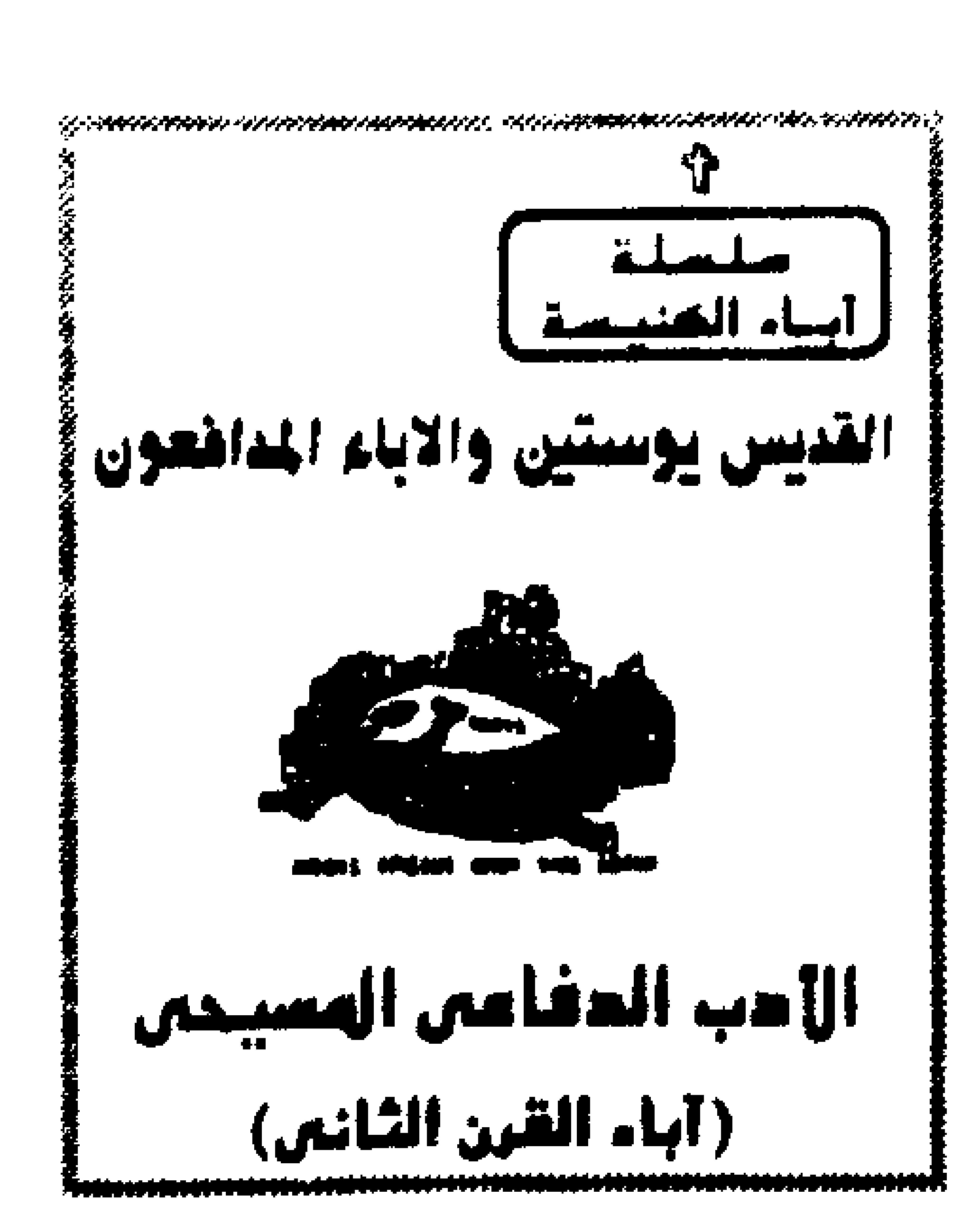
سلسلة
آباء الكنيسة
القديس إيلاريون الكبير
أب رهبان فلسطين
انطونيوس غزة والشام



سلسلة
آباء الكنيسة
القديس أمـونـاس
تلميذ الأنبا أنطونيوس
رسـائله الروحـية


سلسلة
آباء الكنيسة
القديس ألكسندروس
البابا الـ ١٩
أعماله ضد الأريوسية


سلسلة
آباء الكنيسة
أمهات قديسات
فردوس العذارى الحكيمات


سلسلة
آباء الكنيسة
القديس يوستين والاباء المدافعون
الأدب الدفاعى المسيحى
(آباء القرن الثانى)


سلسلة
آباء الكنيسة
القديس كيرلس الكبير
رسائله ضد النسطورية
تقديم
القمص سيداروس عبد المسيح


سلسلة
آباء الكنيسة
إيڤاجريوس البنطى
مار أوغريس
من روائع الأدب النسكى


سلسلة
آباء الكنيسة
الرسالة
إلى ديوجنيتس
من الأدب المسيحى الأول


سلسلة
آباء الكنيسة
القديس سيرابيون
أسقف تيمى
نائب البابا أثناسيوس


سلسلة
آباء الكنيسة
القديس هيلارى
أسقف بواتييه
أثناسيوس الغرب


سلسلة
آباء الكنيسة
العلامة يوسابيوس
القيصرى
أبو التاريخ الكنسى


سلسلة
آباء الكنيسة
القديس ميثوديوس
الأوليمبي
البتولية ووليمة العشر عذارى


سلسلة
آباء الكنيسة
القديس إغريغوريوس
صانع العجائب
أسقف قيصرية الجديدة


سلسلة
آباء الكنيسة
يوحنا كاسيان
مؤسس رهبنة الغرب


سلسلة
آباء الكنيسة
القديس ديونيسيوس
بابا الإسكندرية الـ ١٤
مدير مدرسة الإسكندرية


سلسلة
آباء الكنيسة
يوحنا التبايسى
الأسيوطى
من آباء البرية


سلسلة
آباء الكنيسة
القديس أبيفانيوس
أسقف سلاميس
صائد الهرطقات


سلسلة
آباء الكنيسة
القديس بوليكاربوس
أسقف سميرنا
الآباء الرسوليون


سلسلة
آباء الكنيسة
العلامة بنتينوس
السكندرى
مدير مدرسة الاسكندرية


سلسلة
آباء الكنيسة
القديس إيريناؤس
(أسقف ليون)
أبو التقليد الكنسى


سلسلة
آباء الكنيسة
العلامة لاكتانتيوس
الفيلسوف المسيحى


سلسلة
آباء الكنيسة
القديس ديديموس
الضرير
لاهوتى الروح القدس


سلسلة
آباء الكنيسة
العلامة ترتليان
من آبـــاء أفريقيا


سلسلة
اباء الكنيسة
إيسيذروس الفرمى
من آبـــاء البريـــة


سلسلة
آباء الكنيسة
ثيؤفان الحبيس
من آبـــاء روسيـــا


سلسلة
آباء الكنيسة
جُهال من أجل الله
من آبـــاء روسيـــا

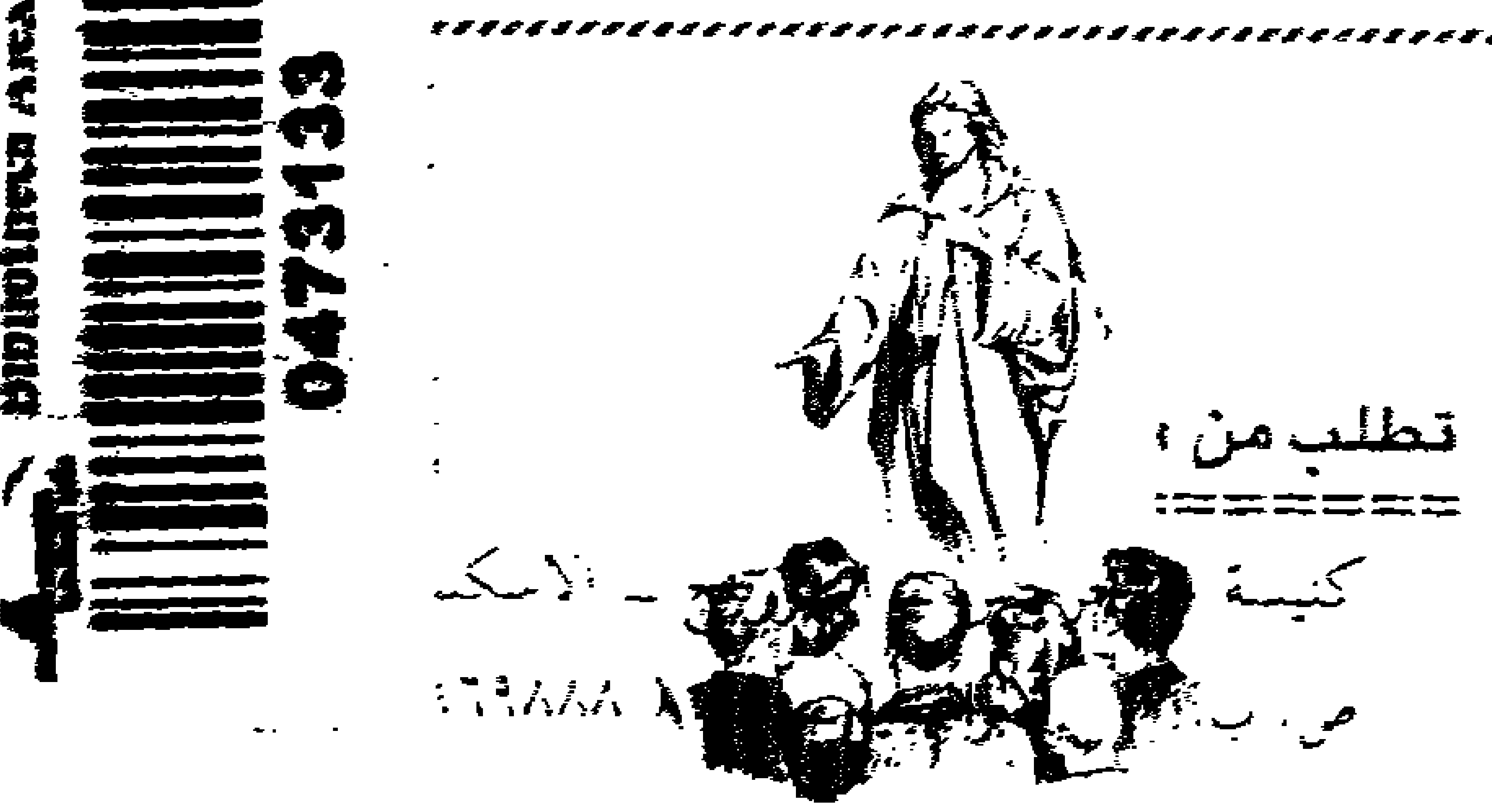

سلسلة
آباء الكنيسة
الآباء المؤرخون
مصادر التاريخ الكنسى


سلسلة
آباء الكنيسة
أفراهات السريانى
من الآباء السريان

السمكة فى التقليد المسيحى المبكر جداً هى الشعار الذى كان المسيحيون يتعارفون به على بعضهم ، برسمها أو بكتابة اسمها «اختوس» ΙΧΘΥΣ وهذه الحروف الخمسة هى اختزال اسم المسيح وصفته ، وتعنى :

"يسوع المسيح ابن الله مخلص"

Ι	ΙΗΣΟΥΣ	إيسوس	يسوع
Χ	ΧΡΙΣΤΟΣ	خريستوس	المسيح
Θ	ΘΗΟΥ	ثيو	الله
Υ	ΥΙΟΣ	يوس	ابن
Σ	ΣΩΤΗΡ	سوتير	



تطلب من :

كنيسة ... ـ الاسكـ

ص. ب ... ٦٩٨٨٨

كنيسة القديسين ـ سيدى بشر ـ الاسكندرية .

ت . (٠٣/٥٤٨٧٧٢٨) .